الفصـــل الأول

البـث التليفزيوني المباشـــر والموقف العربي والمصري منه

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـة :-

يعد التليفزيون فى الوقت الحالى من أكثر وسائل الإعلام أهمية لما له من تأثير مباشر وقوى على أفراد المجتمع ، لذلك فهو فى حاجة مستمرة إلى ضبط ما يعرضه من مواد إعلامية بما يتفق مع أخلاقيات وعادات مجتمعنا ، وتقوم الجهات الرقابية المسئولة عن البث التليفزيونى بهذه المهمة بالنسبة لما يعرض على المستوى القومى ، إلا أن هذه المهام تصبح صعبة فى ظل ثورة المعلومات ، وما تفرضه من تحديات على المجتمع بصورة تحولت فيها الكرة الأرضية إلى قرية كونية صغيرة ... فى هذه الحالة يصبح التليفزيون وسيلة خطرة وبخاصة إذا عجز المجتمع عن التحكم فيما يقدمه من مواد إعلامية خاصة موجهة من دول ذات أخلاقيات وعادات وقيم تختلف عن ثقافة المجتمع وذلك لأن هذه المواد تصل عبر الأقمار الصناعية من خلال البث التليفزيونى المباشر الذى يفرض نفسه على المجتمع .

فالعالم مع نهاية العقدين الأخيرين من القرن العشرين واجه " أبواب ثورة إعلامية جديدة والتى بدأت طلائعها فى البث التليفزيونى المباشر وهو الذى يمكن أن يكون فى جانب من جوانبه تطوراً خطيراً للبعثات التعليمية التى كانت فيما مضى وسيلة الاتصال الفكرى بالشعوب. ويقوم البث بهذه المهمة بطريقة أسرع ، ومع هذا البث تكون بلادنا مستهدفة لزحف فكرى جديد من جانب الدول التى تملك الأقمار الصناعية وهو الزحف الذى يستهدف تدمير الذاتية الثقافية للمجتمعات المحلية "[1] .

---

(١) عبد الفتاح عبد النبى ، تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق ، القاهرة : مكتبة العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م ، ص١٤٢ .

وإذا كان هذا هو الوضع منذ أكثر من عشرة أعوام فإن الوضع يختلف اليوم، فمع "التطور التكنولوجى للأقمار الصناعية أصبح لدينا ما يعرف (بالبث المباشر) من هذه الأقمار وذلك من خلال استخدام هوائى استقبال صغير على سطح المنزل ودائرة إلكترونية لتحويل الإشارات المستقبلة من القمر الصناعى لاستقبالها بواسطة التليفزيون مباشرة " (١) .

أى أن الإرسال التليفزيونى أصبح اليوم له القدرة على الوصول " إلى كل جهاز فى كل بيت ، وهذه المسألة تطرح إشكاليات ثقافية واجتماعية كبيرة تتلخص فى أن ما هو مباح فى مجتمع قد يعد محظورا فى مجتمع آخر، لذا فإن إطلاق الإرسال التليفزيونى بهذا الشكل المفتوح شكل تهديداً للمجتمعات النامية غير المستعدة لمواجهة قوة الرسائل الإعلامية المتطورة بما تحمله من اختراق للمقاييس الأخلاقية والثقافية لهذه المجتمعات "(٢) .

وتشير دلائل التاريخ إلى أن الدول الغربية كانت مسيطرة عسكريا على كثير من الدول النامية ، أما الآن فى ظل التقدم الهائل فى صناعة تكنولوجيا الأقمار الصناعية ، أصبحت هذه الدول لها القدرة على تحقيق أهدافها الاستعمارية من خلال فرض هيمنتها الثقافية عن طريق البث التليفزيونى المباشر.

ولقد زاد من قدرة الدول الاستعمارية فى تحقيق أهدافها الغفلة التى

(١) ماجى الحلوانى ، القمر الصناعى الإسلامى تحدى حضارى وضرورة عصرية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م ، ص١٧ .
(٢) محمد حيدر مشيخ ، صناعة التليفزيون فى القرن العشرين ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م ، ص٢٨.

تعيشها بعض الدول النامية ، وعجز مواردها عن إقامة استراتيجية للمواجهة الإعلامية ، " وفى ظل هذه السياسة الاستعمارية الجديدة فإن وسائل الإعلام القومية يمكن أن تفقد مصداقيتها . كما تفقد الرموز دلالاتها فينصرف عنها المشاهد إلى ما هو أكثر (إبهاراً) وأكثر (صدقاً) "[١] .

" وهو ما يحقق التبعية الثقافية للدول الغربية التى هى نفسها وسيلة من وسائل التبعية السياسية والاقتصادية ولعل تطور وسائل الاتصال الدولية والتوسع فى بناء الإذاعات وشبكات البث التليفزيونية الموجهة نحو الأقطار العربية تدفع أكثر فأكثر إلى الشعور بالتهديد الثقافى لدى الأقطار الأقل قدرة على مجاراة الدول المتقدمة "[٢] .

وتتضح الخطورة فى أن الدول الأوروبية لها تحفظات على البث التليفزيونى المباشر وقلق فى الحكومات المختلفة. ففى شهر " نوفمبر (١٩٨٠م) اجتمع فى مدينة ميونيخ بجنوب ألمانيا ما يقرب من (٣٠٠) سياسى واقتصادى ومهندس من دول أوروبا والولايات المتحدة وكندا لمناقشة تأثير البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر على الأوروبيين فى منازلهم ، وقد أثارت المناقشات عاصفة من المشاعر القلقة فى الدول الأوروبية "[٣] .

---

(١) انشراح الشال ، وسائل الإعلام الإلكترونية فى دول الكتلة الشرقية دراسة حالة يوغسلافيا ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٩٢م ، ص١٥٧ .

(٢) برهان غليون،"التنمية الثقافية العربية بين التبعية والانغلاق"،مجلة الوحدة (المغربية)، العدد (٩٢) ، السنة الثامنة، مايو ١٩٩٢م،ص١٥.

(٣) جلال عبد الفتاح ، البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ٢ ، ١٩٩٤م، ص١٧ .

إذا كانت الدول الأوروبية بثقافتها وعاداتها وتقاليدها القريبة من ثقافة أمريكا وكندا تشعر بهذه الخطورة ، فإن الخطورة تصبح أعظم بالنسبة للدول النامية حيث تكمن فى تأثيرها على أفراد المجتمع فى شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والتعليمية والاقتصادية والعقائدية .

وقد تعددت الدراسات التى تناولت مدى تأثير التليفزيون على أفراد المجتمع سواء أكانوا أطفالا أم مراهقين أم نساء ومن هذه الدراسات : دراسة حسن على محمد (١٩٩٢م) التى كشفت عن الآثار السلبية للبرامج الموجهة المستوردة فى التليفزيون المصرى على الطفل[١] ،ودراسة مايرز فيلب - بايكو فرانك Myers Philip, Biocco Frank (١٩٩٢م) التى أوضحت الآثار المترتبة على إعلانات التليفزيون وبرامجه والتى منها تشويه الصورة الجسمانية للشابات[٢] .

كما أوضحت دراسة تشيفرايه إيرك - مانسور سلفيه .Chervallier Eric Mansour, Sylvie (١٩٩٣م) تأثير التليفزيون السلبى على صحة الأطفال والمراهقين فى الدول المتحضرة والنامية والذى لا يقل تأثيرها السلبى عن التنمية والثقافة[٣] .

وإذا كان للتليفزيون وبرامجه التى تخضع للرقابة الوطنية هذه الآثار السلبية الخطيرة ، فإن الأمر يزداد خطراً إذا عجزت الدول عن السيطرة على البرامج

---

(١) حسن على محمد ، " البرامج المستوردة الموجهة للأطفال فى التليفزيون المصرى : دراسة تطبيقية " ، رسالة دكتوراه ، معهد دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٢م .

(2) Mycrs. Philip., Biocco. Frank., "The Effcct Of Television Advertising And Programming On Body Image Distortions In Young Women", Journal Of Communication., Vol.42, Sum 1992. , P 10

(3) Chervallier. Eric., Mansour. Sylvie., Children And Television, Paris : International Children's Centre,1993.

التى يشاهدها مواطنوها والتى تقدم لهم من خلال أجهزة استقبال القنوات الفضائية .

إلا إنه لا يمكن إنكار أصوات التحذير التى أطلقها بعض الباحثين عن الأخطار المترتبة على البرامج الموجهة عبر الأقمار الصناعية من خلال البث التليفزيونى المباشر أمثال : محمد إبراهيم محمد الشطلاوى (١٩٩١م) الذى اهتم برسم استراتيجية تربوية لمواجهة مخاطر البث التليفزيونى العالمى تقوم على الارتفاع بالمستوى الفنى ومستوى الأداء للبرامج التليفزيونية العربية القائمة[١] ، وكذلك ناصر الحميدى (١٩٩٣م) الذى اهتم بالتعرف على أهم المشكلات التى يتوقع حدوثها مع البث التليفزيونى المباشر مستقبلاً[٢] .

ويزيد من خطر تأثير التليفزيون على أفراد المجتمع أن البرامج الموجهة التى تصل عبر الأقمار الصناعية من خلال البث التليفزيونى المباشر تتميز بالجودة والإبهار ، ويليها القدرة على جذب انتباه المشاهد ، وتحمل بين طياتها نوعاً من أنواع الغزو الثقافى الذى يؤثر على المجتمع .

وتتمثل الآثار السلبية للغزو الثقافى الغربى والمترتب على وسائل الإعلام فى " التأثير على الثقافة التقليدية ، وأيضاً تقديم ثقافة الاستهلاك للمواطن العربى وذلك من خلال الإعلانات التى تشجع الروح الاستهلاكية كما أن البرامج الغربية

---

(١) محمد إبراهيم محمد ، " مواجهة البث التليفزيونى العالمى من منظور تربوى استراتيجية مقترحة " ، مجلة كلية التربية (بالمنصورة) ، المجلد الأول ، العدد (١٦) ، مايو ١٩٩١م ، ص١٨٥ .

(٢) ناصر الحميدى ، " البث التليفزيون وتأثيره على التربية بالمملكة العربية السعودية دراسة ميدانية " ، مجلة الإذاعات العربية (العراقية) ، إبريل ١٩٩٣م ، ص٤٨ .

تعكس ثقافات مجتمعها مما يؤثر على تشكيل القيم العربية السائدة ويعمل على تغيرها " [١] .

وفى هذا يذكر " إبراهيم إمام " [٢] أن من أخطار البث التليفزيونى المباشر الدعاية وتسلط ثقافة على أخرى وذلك لخطورة التأثير التليفزيونى كما ينطوى على تهديد اقتصادى عن طريق الإعلانات وعلى تخريب سياسى من خلال التدخل فى النظم الداخلية للدول الأخرى وأيضا أخطار أخلاقية كالتشهير وتقويض الذوق العام" .

و لما كان الهدف الرئيسي هو تقويم البث التليفزيوني المباشر ، ونظراً لأن هذا التقويم يتطلب الوقوف على طبيعة هذا البث والموقف المصري والعربى من أهدافه ومصادره كسبيل لتشخيص الجوانب المفيدة والآثار الضارة المترتبة على هذا البث تمهيداً لرسم خطط واستراتيجيات العلاج .. لذا فقد تطلب الأمر تحديد مفهوم هذا البث ونظامه مع إعطاء نبذة مختصره عن تاريخ وتنظيم وواقع وأخطار أقمار البث التليفزيوني المباشرة وموقف العرب بصفة عامة ومصر بصفة خاصة من ذلك كله .

أولا : مفهوم البث التليفز يوني المباشر :-

تتعدد تعريفات البث التليفزيوني المباشر نظراً لاختلاف تخصصات المعرفين له ، هذا بالإضافة للاختلاف في اللغة عن الاصطلاح ، وتعنى كلمة البث في اللغة العربية : " فرقة ونشره . والخبر إذاعة " [٣] .

---

(١) محى الدين صبحى ، " جدلية الذات والمصير فى جذور وامتدادات ندوة تونس حول الغزو الثقافى " ، مجلة الوحدة (المغربية) ، العدد(٣) ، السنة الأولى ، ديسمبر ١٩٨٤م ، ص ص ٥٠-٥١ .

(٢) إبراهيم إمام ، الإعلام الإذاعي والتليفزيوني ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٩م ، ص٨٥.

(٣) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، القاهرة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٩٣م، ص ٣٥ .

وهذا التعريف اللغوى يشير إلى وجود رسالة ذات مضمون ، وهذه الرسالة يتم من خلال البث إذاعتها ونشرها في أكبر حيز ممكن ، وبهذا يتضمن التعريف عنصرين من عناصر البث هما : مصدر الرسالة ، والرسالة ذاتها .

ويضيف " جلال عبد الفتاح " عنصرين آخرين من خلال تعريفه للبث التليفزيوني المباشر على أنه " إمكانية التقاط البرامج التليفزيونية في المنازل مباشرة عبر هوائى مخروطى دون تدخل أي محطات أرضية " (١) .

وإذا كان " جلال عبد الفتاح " يركز على المستقبل وجهاز الاستقبال كعنصرين من عناصر " البث " فإن " إبراهيم إمام " يربط جهاز الاستقبال الهوائى بجهاز الإرسال " القمر الصناعى " ، حيث يعرف البث التليفزيوني المباشر على أنه " إمكانية الاتصال بين القطاع الفضائى (الأقمار الصناعية) وأجهزة الاستقبال في البيوت مباشر (الهوائيات) دون المرور على المحطات الأرضية " (٢) .

" وبهذا فقد صارت السماء مفتوحة تماماً إذ أن أجهزة البث المختلفة تعمل ليل نهار فالهوائيات الفضائية تستقبل القنوات التليفزيونية المذاعة عبر الأقمار الصناعية التي تبث أعمالها عبر أرجاء الدنيا بحيث أصبح العالم قرية كونية واحدة"(٣) .

من هذا المنطلق يمكن القول بأن خطر البث التليفزيوني المباشر يكمن في

---

(١) جلال عبد الفتاح ، البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب: جـ١ ، ١٩٩٤م، ص٢٣ .

(٢) إبراهيم إمام ، الإعلام الإذاعى والتليفزيونى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

(٣) محمود محمد الكدش ، لقطات ممنوعة والرقابة فى التليفزيون،القاهرة: مركز المحروسة،١٩٩٧م، ص١٠٧.

قدرة التليفزيون على جذب انتباه الأفراد وربطهم بما يعرض على شاشته من جهة، ومن جهة أخرى " إمكانية وصول مواد التليفزيون التي تبث من محطة أرضية عبر القمر الصناعى إلى شاشات التليفزيون في المنازل (مباشرة) دون المرور بالمحطة المصفاة (Filter) وبالتالى دون أي تدخل من قبل المسئولين "[١] .

وعليه فإن نظام البث المباشر يصل إلى المشاهد من الأقمار الصناعية الخاصة بالبث المباشر دون المرور على المحطات القادرة على الانتقاء ، بالتالى فإن البرامج الوافدة لا تقع تحت سيطرة الرقابة بل تصل بدون حذف أو تغيير من القمر مباشرة إلى التلفزيون المتصل بالطبق ، وهنا تكمن المخاطر.

ثانيا : نظام البث المباشر ومصادره :-

اتضح من تعريف " البث المباشر " أنه عملية من عمليات الاتصال ، ومن ثم فإنه يتحدد بخمسة محددات هى [٢] :-

١- المحدد الأول : ويشير إلى مصدر المادة الاتصالية أو منتجها الأصلى فنلاحظ أن الشركات غير القومية توجد مقارها الرئيسية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وسويسرا والمملكة المتحدة وفرنسا ، والأهم من ذلك هو أن هذه الدول هى موطن وكالات الأنباء العالمية الأربع [*] ، وبالتالى فهي مصدر للبرامج التليفزيونية .

---

(١) إنشراح الشال ، دولنا النامية فى عصر الأقمار الصناعية ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٨م ، ص١٣.

(٢) عواطف عبد الرحمن ، " الصحافة الإفريقية بين التبعية والاستقلال " ، مجلة عالم الفكر (الكويتية) ، المجلد الرابع عشر ، العدد (٤) ، يناير . فبراير . مارس ١٩٨٤م ، ص ص ١٣٧-١٣٩.

(*) الوكالتان الأمريكيتان اسوشيتد برس ، يونيتد برس ، انترناشونال ورويترالبريطانية ، آجنس فرانس برس الفرنسية.

٢- المحدد الثاني: ويشير إلى محتوى الرسائل المنقولة من الدول التي توجد بها المقار الرئيسية للشركات غير القومية ولا سيما ما يتعلق بالثقافة التجارية لهذه الشركات والواقع أن الثقافة التجارية تتضمن مجموعة من العناصر يمكن تلخيصها في بعدين أساسيين وأولهما يتعلق بالاتجاهات والقيم وأنماط السلوك،وثانيهما يتعلق بكل من أنماط التنظيم والإنتاج والاستهلاك .

٣- المحدد الثالث : ويتضمن الجمهور المتلقى للرسائل الإعلامية عبر الإعلام المرئى المسموع (الإذاعة والتليفزيون) .

٤- المحدد الرابع : ويتصل بالقنوات التي يتم عبرها إرسال الرسائل الإعلامية والتي تسهم في تشكيل الأنماط الاستهلاكية والتكنولوجية الحديثة للاتصال ، وهذا يجعل من شبكات الشركات الأجنبية جهازاً عالمياً ديناميكياً للاتصال .

٥- المحدد الخامس : ويتعلق بالتأثيرات التي تحدثها الرسائل الاجتماعية والثقافية لدى الجماهير المتلقية من شعوب العالم الثالث عبر الإعلانات وغيرها من المواد الإعلامية .

ويرتبط المحدد الرابع من المحددات السابقة بنظام البث التليفزيوني المباشر وهذا المحدد لا يقتصر البث على الآثار المترتبة عليه، بل يشير إلى مكونات نظام البث والتي تتمثل في[١]:-

١- القمر الصناعى الذي يدور في مدار معين حول الأرض .

---

(١) محمود تيمور عبد الحسيب ، " تطور الأقمار الصناعية بين النظرية والتطبيق " ، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (٥٧) ، أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٩م ، ص ص ٣٨-٣٩ .

٢- المحطة الأرضية التي ترسل البرامج التليفزيونية والإذاعية بالقمر الصناعى .

٣- المحطة الأرضية التي تستقبل البرامج مرة أخرى منه تسمى (Duwnlink)

ويمكن الاستعاضة عنها بطبق مناسب(Dish)وجهاز استقبال (Receiver).

مكونات نظام البث التليفزيوني المباشر هى : -

١-القمر الصناعى :-

يعد القمر الصناعى (Satellite) المكون الأساسى من مكونات نظام البث المباشر ، وهو عبارة عن " أسطوانة أو جسم دوار يتم إطلاقه من قاعدة أرضية إلى مدار معين حول الأرض يشبه مدار القمر الطبيعى ، ويستمر في هذا الدوران بحكم الجاذبية بنفس السرعة التي أطلق بها ما لم تؤثر على دورانه عامل خارجى"[١]، وهذه الأسطوانة الكروية تبرز من سطوحها " قضبان معدنية كأجهزة الرصد وهوائيات لأجهزة الإذاعة والاستقبال اللاسلكى كما أن بداخلها حاسبات إلكترونية غاية في التعقيد تعمل على تسجيل ما ترصده الأجهزة ثم تقوم بإرسال هذه المعلومات والصور إلى محطات المتابعة الأرضية المنتشرة في أماكن متفرقة على الأرض" [٢].

أي أن الأقمار الصناعية تتوسط بين المرسل إليها والمحطات الأرضية ، وتتولى عنها مسئولية الإرسال أو تحل محلها في إرسال " إشارة قوية يمكن استقبالها مباشرة بواسطة أجهزة التليفزيون العادية المجهزة بهوائى خاص ،

---

(١) سهير عبد الغنى بركات ، الإذاعة الدولية دراسة مقارنة لنظمها وفلسفاتها ، القاهرة : دار الطوبجى ، ١٩٧٨م ، ص ص١٠٦-١٠٧

(٢) ماجى الحلوانى ، القمر الصناعى الإسلامى تحدى حضارى وضرورة عصرية ، مرجع سابق، ص١٦ .

بمعنى أن الإشارة المرسلة من القمر الصناعى لا تمر بمحطات أرضية تتولى إعادة بثها على الشبكات التليفزيونية المحلية وهذا على غرار الإذاعة الصوتية التي تصل مباشرة إلى أجهزة الاستقبال " [1] .

٢-المحطات الأرضية :-

تمثل المحطات الأرضية المرسل الذي يتم من خلاله بث الرسالة إلى القمر الصناعى ، حيث تقوم الاستديوهات التي تحويها المحطة الأرضية بتنفيذ البرامج التليفزيونية ثم بثها " عبر خطوط إرسال إلى محطة الإرسال الأرضية الرئيسية وهوائيات هذه المحطة توجه بدقه نحو القمر الصناعى المراد التعامل معه في مداره" [2] .

٣-الهوائيات :-

وتعد هذه الهوائيات المستقبلات للرسائل المرسلة من المحطات الأرضية عبر الأقمار الصناعية ، وهذه الهوائيات لا يزيد قطر الواحد منها عن " ثلاثة أمتار مع محول منذر مركب في الجهاز العادى ويمكن أيضا لنفس الهوائى والمحول بأن يغذيا أكثر من جهاز استقبال عادى كبير أو في منطقة محدودة ، ولا يحتاج هذا البث المباشر إلى محطات أرضية ، ويوفر نظام البث المباشر مميزات أكثر من نظام الشبكات الأرضية التليفزيونية في أنه يمكن به خدمة منطقة بأكملها من خلال

(١) سهير عبد الغنى بركات ، الإذاعة الدولية دراسة مقارنة لنظمها وفلسفاتها ، مرجع سابق ، ص١٠٩ .

(٢) محمود تيمور عبد الحسيب ، " تطور الأقمار الصناعية بين النظرية والتطبيق " ، مرجع سابق ، ص٤٠ .

إرسال قناة ، ونتيجة الارتفاع الشاهق لقمر الإرسال فإن الاستقبال نادراً ما يتأثر بعوامل الاعتراض والمبانى " [١]

" ولذلك بدأت الهوائيات الطبقية ذات السطح المقعر تحتل أماكن فوق أعالى العمارات وفى الحدائق مواجهة سطوحها نحو السماء وأصبحت بديلا للهوائيات التي تتعامل مع محطات التليفزيون الأرضية " [٢] .

أما مكونات النظام المنزلى لاستقبال البرامج التي تبث من خلال الأقمار الصناعية فتتكون من [٣] :-

(Complete Home Satellite System) .

أ - هوائى على شكل طبق يتراوح قطره في الغالب بين (١,٥ - ٣ متر) (Dish) .

ب- بوق تغذية (Feed horn) .

جـ مكبر إشارة ذو كفاءة عالية وضوضاء ضئيلة ودوائر تغير ترددة (Amplifier) .

د - جهاز استقبال تليفزيونى (Receiver) .

هـ. جهاز توجيه الهوائى .

و - جهاز خاص بالصوت (Audio System) .

ز - أجهزة إضافية مثل جهاز التحكم من بعد (Remote Control) .

ولكن في هذه الفترة تطورت تكنولوجيا البث التليفزيوني المباشر وبدأ

---

(١)جيهان أحمد رشتى ،الإعلام الدولى بالراديو والتليفزيون،القاهرة:دار الفكر العربى،١٩٧٩م،ص ص ٣١٠-٣١١ .

(٢)سعد شعبان، القمر الصناعى المصرى "نايل سات"،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٣٤.

(٣) محمود تيمور عبد الحسيب ، " تطور الأقمار الصناعية بين النظرية والتطبيق " ، مرجع سابق ، ص٤١ .

استخدام أطباق استقبال مسطحة بدلا من أطباق الاستقبال المقعرة ، وأيضا تم استخدام نظام جديد في بث القنوات الفضائية هو نظام التضاغط الرقمى (*) (Digital Compression) .

[١] نبذة تاريخية عن أقمار البث التليفزيوني المباشر :-

تتسابق الدول المتقدمة منذ زمن بعيد على إطلاق الأقمار الصناعية التي تخدم أغراضها في شتى المجالات المختلفة ولكنها بدأت منذ فترة قريبة في إطلاق أقمار البث التليفزيوني المباشر (D.B.S) (*) الخاصة ببث القنوات الفضائية الوافدة ، وتسابقت كل من الدول الأوروبية واليابان وأمريكا على امتلاك الفضاء وفرض سيطرتها عليه بصفة عامة ، وعلى مجال البث التليفزيوني المباشر بصفة خاصة ، وأدى هذا إلى مواجهة الأفراد في شتى الدول "تكنولوجيا جديدة سقطت أمامها الحدود الجغرافية للدول والحواجز السياسية وأصبح التواصل بين الأقمار الصناعية وبين الشعوب بلا قيود وبلا رقابة من الحكومات والسلطات المحلية ، لأن برامج البث المباشر ليست في حاجة إلى استئذان أحد ، فهي تقتحم المنازل إلى الشاشات الصغيرة مباشرة دون أي تدخل من السلطات المحلية " (١) .

وبدأ السباق العالمي في إطلاق الأقمار الصناعية الخاصة بالبث التليفزيوني المباشر بغزو الفضاء ، وكل دولة من الدول المتقدمة تسعى جادة إلى حجز مدار لها في

(*) إتاحة تكنولوجيا " التضاغط الرقمى " إمكانية مضاعفة القنوات العاملة من أربعة إلى سبعة أضعاف القنوات المجيبة المتاحة فى أجهزة القمر .

(*) Direct Broadcasting Satellite .

(١) سعد شعبان ، القمر الصناعى المصرى " نايل سات " ، مرجع سابق ، ص١٣٣ .

الفضاء وبذلك تستطيع هذه الدول بث برامجها الخاصة بها والتي تحمل بين طياتها غزو ثقافي وإعلامى يؤثر على الدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة .

ففى " يوليو (١٩٨٧م) بدأت اليابان أول بث تليفزيونى لها بواسطة أقمار البث التليفزيوني المباشر ليغطى إرساله الجزر اليابانية ويستمر على مدى الأربع والعشرين ساعة يومياً ، وبذلك سجلت اليابان أنها أول دولة في العالم تستخدم أقمار البث التليفزيوني المباشر ، أي الذي يصل من مركز الإرسال إلى أجهزة التليفزيون المنزلية مباشرة ، عن طريق قمر صناعى خاص واستخدام طبق هوائى"[١]، وفى العامين التاليين تعرضت المنطقة العربية لأربعة أقمار أخرى هى الأقمار الأوروبية المتمثلة في القمر الفرنسى للبث المباشر TDF-1 وقد أطلق عام ١٩٨٨م ، والقمر الألمانى للبث المباشر TV, SAT-2 وأطلق عام ١٩٨٨م ، والقمر الأوروبى التابع لوكالة الفضاء الأوروبية للبث المباشر وأطلق عام ١٩٨٩م ،والقمر البريطانى للبث المباشر BSB والذى أطلق عام ١٩٨٩م ، أضيف إليها فيما بعد الأقمار الأمريكية والآسيوية [٢].

وهكذا بدأت الأقمار الأوروبية واليابانية والأمريكية والآسيوية تأخذ مكانها في الفضاء لبث برامجها من خلال القنوات الفضائية الأجنبية التي تتعدى الحواجز الجغرافية للدول الأخرى ، كما " انعكس تطور أقمار البث التليفزيوني المباشر على

---

(١) سعد لبيب ، " مصرية التليفزيون المصرى هى الحل ..... فى عصر أقمار البث المباشر " مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (٥٢) ، يوليو - سبتمبر ١٩٨٨م ، ص ص ٢٤-٢٥ .

(٢) هبه أمين أحمد شاهين ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE"، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٤٩ .

تطور المحطات الأرضية فانخفض قطر الهوائى الطبقى الخاص بهذه المحطات وتطورت أجهزة البث التي تنقل الإشارة إلى القمر الصناعى" [١]، ومن ثم فقد بدأ السباق العالمي في تطوير التكنولوجيا الخاصة بها ، وأدى هذا إلى صغر حجمها مع زيادة كفاءتها، واستخدام نظام التضاغط الرقمى في تصميمها وهو يتيح إمكانية مضاعفة عدد البرامج التي تذاع على كل قناة قمرية رئيسية،ويعد القمر المصري (نايل سات) من الأقمار التي تعمل بهذا النظام .

ولم يقتصر الأمر على تطوير أجهزة الإرسال ، بل أن التطور شمل أجهزة الاستقبال ، حيث يشهد العالم اليوم تطوراً في أجهزة الاستقبال المنزلية ، وأصبحت الأطباق الهوائية صغيرة الحجم قليلة التكاليف " وظهرت في الأسواق اليابانية هوائيات مستديرة على هيئة طبق ولكنها مسطحة تماما بدلاً من أن تكون مقعرة ، وقد ثبت عمليا أن الهوائيات المسطحة أفضل في بعض الخواص الفنية عن غيرها ، لأنها تلتقط صور الأقمار بوضوح وأيضا تواصل العمل حتى لو كانت غير مضبوطة نحو القمر ولو بعدة درجات" [٢] ، كل هذا أدى إلى انتشارها بين أفراد المجتمع المصري الغنى منهم والفقير ، وبالتالى ازداد تأثير البث المباشر على أفراد المجتمع المصري .

[٢] مصادر البث التليفزيون المباشر : -

تستغل الدول المتقدمة المصادر التي تمتلكها في فرض سيطرتها الثقافية والإعلامية على الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة ، وذلك

(١) جلال عبد الفتاح ، البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر ، مرجع سابق ، ص٦٥ .
(٢) جلال عبد الفتاح ، البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر ، مرجع سابق ، ص ص ٨٠-٨١ .

لتحقيق أهدافها الاستعمارية مستغلة كافة إمكانياتها الاقتصادية والتكنولوجية ، ومن أهم هذه المصادر ما يلي :-

أ - الشركات متعددة الجنسيات .

ب- وكالات الأنباء العالمية .

جـ وكالات الإعلان العالمية .

[أ] الشركات متعددة الجنسيات :-

تمثل الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات نوعاً من الوحدات الأساسية الرأسمالية الاحتكارية في هذه المرحلة ويشكل أصحابها وموظفوها الكبار الفئة العليا من الطبقة الحاكمة [١] ، ومن ثم فقد أسفر دخول الشركات متعددة الجنسيات مجال امتلاك أقمار البث التليفزيوني المباشر عن زيادة مخاوف دول العالم الثالث بصفة عامة ومصر بصفة خاصة ، لأن هذه الشركات أعدت العدة لتحقيق مخططاتها وأهدافها التي تهدف من ورائها تحقيق مكاسبها المادية عن طريق الإعلان التجاري لتسويق منتجاتها بأسواق الدول النامية .

فمع " قيام الشركات التجارية بإدارة شبكات أقمار البث المباشر ولدت سياسة السماء المفتوحة ، ومعها ولدت سياسة تخصيص القنوات إذ عمدت بعض هذه الشركات إلى تخصيص قنوات للرياضة وأخرى للموسيقى أو الدين أو لرجال الأعمال والاقتصاد والمال وأخبار البورصات والبنوك وأصبح التعامل مع الإعلانات مورد رزق خطير يشكل الأساسي في إيرادات هذه الشركات " [٢] .

---

(١) فينان محمد طاهر ، عز الدين فودة ، مشكلة نقل التكنولوجيا دراسة لبعض الأبعاد السياسية والاجتماعية ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص١٢١ .

(٢) سعد شعبان ، القمر الصناعى المصرى " نايل سات " ، مرجع سابق ، ص١٣٨ .

ولقد وضعت الشركات عابرة القوميات شروطاً للاتصال حددها تقرير ماكبرايد في ثلاثة قيود هى :

١- الاحتكار القوى للتكتلات العالمية في انتقاء وإنتاج وتسويق المنتجات الترفيهية والإعلامية وفرضها على المجتمعات النامية .

٢- حماية الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى للمؤسسة الإعلامية الصناعية عابرة القوميات .

٣- إضعاف دور المنظمات الدولية على نحو ما تعرضت له اليونسكو والعلاقات متعددة الأطراف[١] .

ومن ثم فلم تحترم الشركات متعددة الجنسيات القوانين والضوابط التي تقرها المنظمة الدولية لدراسة مشاكل الاتصال في العالم لأن هذا يتعارض مع مصالحها داخل الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة صاحبة الأصوات الضعيفة في نظام الاتصالات الدولية ولا تزال تعترضها حتى الآن شروط الاتصال الصارمة التي وضعتها الشركات متعددة الجنسيات لصالح الدول الأوربية والأمريكية وعليه " فإن هذه الضوابط لم تحترم خلال العقدين الأخيرين وكلما مر الزمن كلما زاد انتهاكها - ولقد كان هذا في رأى البعض - نتيجة تلقائية لهيمنة الدول الكبرى والشركات متعددة الجنسيات بإمكانياتها الضخمة على وسائل الاتصال العالمي ولكنه كان انتهاكا متعمداً من الدول الكبرى لحقوق الدول الصغرى وهذا استمراراً لهجمتها السياسية التي بدأت منذ مرحلة الغزو الاستعمارى " [٢] .

---

(١) محمد بركة ، " البث الفضائى العربى ... ترشيد الغاية والوسيلة " ، جريدة البيان (الإماراتية)، العدد(٣٢٣) ، السنة السادسة ، الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٩٧م ، ص٩ .

(٢) حمدى قنديل ، " البث التليفزيونى المباشر غزو ثقافى ولكن ...؟ " ، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (١٦٠) ، يوليو-سبتمبر ١٩٩٠م ، ص٨٢ .

obeikandl.com

ومن المؤكد أن هناك عوامل جديدة فرضتها مستجدات العصر تتمثل في الاحتكار الغربى لتكنولوجيا الاتصال والدور الحاسم الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسيات في مجال تسويق السلع الثقافية والإعلامية مستغلة قدراتها في امتلاك أقمار البث المباشر.

فأحد " المجالات التي شهدت تطوراً هو مجال الاتصالات عن بعد وتحديد القنوات الفضائية التي تبثها الأقمار الصناعية لتصل إلى كل مناطق العالم متخطية الحواجز الجغرافية والطبيعية متجاوزة الخصوصيات الثقافية والدينية واللغوية والمذهبية فشهدت السنوات الأخيرة أسلوب تأجير القنوات الفضائية التابعة لأقمار صناعية لدول أخرى أو تأجير أقمار صناعية بكاملها أو شرائها وتتسابق الدول والشركات العملاقة في ذلك، والآن هناك أكثر من (٥٠٠) قناة فضائية عالمية أغلبها تتبع لدول أو شركات أمريكية أو أوروبية ، وهناك العديد من القنوات الفضائية الخاصة التي تتبع شركات أمريكية وأوروبية أو أفراد " [١].

وهكذا تتركز السلطة في الدول الصناعية المتقدمة التي تخضع لها الشركات متعددة الجنسيات والتي تسيطر على وسائل الإعلام ويأتى في مقدمتها أقمار البث التليفزيوني المباشر ، وتقوم هذه الشركات بنشر الثقافة العالمية وتحت هذا الستار تقوم بتحديث أسلوب الغزو الثقافي والإعلامى ، وبالتالى تضمن فرض هيمنتها على الدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة ، هذه الهيمنة أخذت صوراً جديدة أهمها استغلال الرغبة في الحصول على كل شئ وتحويله إلى ضغط قوى وملزم وإجبارى.

---

(١) معتز سلامه ، " العرب والغزو الثقافى فى عصر القنوات الفضائية " ، جريدة البيان (الإماراتية) ، العدد(٣٢٣)، السنة السادسة ، الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٩٧م ، ص٤ .

وهكذا فإن الشركات المتعددة الجنسيات لها دور خطير في استمرار التبعية الإعلامية والثقافية للدول الغربية ، مستغلة قوتها الاقتصادية وسيطرتها على أقمار البث التليفزيوني المباشر ، وبهذا تضمن وصول موادها الإعلامية إلى الدول العربية مما يساعدها على تحقيق دورها الذي تسعى إليه الدول المتقدمة التي تمتلك هذه الشركات .

وتؤكد الدراسات على " أن الشركات المتعددة الجنسيات تقوم بدور متزايد الأهمية في الأنشطة الإعلامية والثقافية وذلك بعد بنائها حزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافة من البلدان الأصلية إلى البلدان الأخرى مما يؤدى إلى فقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التي تتعرض لهذه التأثيرات وأيضا تمارس هذه الشركات تأثيرا رئيسيا في تكريس التبعية الثقافية من خلال تصدير البرامج التليفزيونية والمسلسلات التي تعتمد عليها جميع مؤسسات التليفزيون العربية اعتمادا كبيرا ، والتي من خلالها يتم الترويج للقيم وأنماط الحياة الأجنبية مما يسهم في ترسيخ الاغتراب الثقافي لدى جمهور المشاهدين من المواطنين العرب"[١].

" ولقد برز الدور الذي تقوم به الشركات متعددة الجنسيات كأداة للتغلغل الاقتصادى للسيطرة الأيديولوجية والثقافية في دول العالم الثالث ، إذ أنها تمارس حالياً المهام التي كانت تقوم بها في الماضى الحكومات الاستعمارية ، ولا تكتفى هذه التجمعات الهائلة بتبعية رأس المال والتكنولوجيا وتحويلها إلى سوق الاتصال بل أنها تسوق أيضاً سلعاً استهلاكية ثقافية واجتماعية لا حصر لها وكذلك تمارس هذه

(١)عواطف عبد الرحمن،قضايا إعلامية معاصرة فى الوطن العربى ، القاهرة:دار الفكر العربى،١٩٩٧م،ص٢٢.

الشركات تأثيراً مباشراً في أجهزة الإنتاج الاقتصادى وتلعب دوراً رئيسياً في تسويق ثقافتها ، كما تسيطر على عدد كبير من وسائل الإعلام في دول العالم الثالث"[1].

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الشركات المتعددة الجنسيات تمارس تأثيراً على الدول العربية في ظل امتلاك هذه الشركات للقنوات الفضائية الوافدة، حيث:-

(١) تقوم الشركات متعددة الجنسيات بدور خطير في ترويج القيم الاجتماعية الأوربية والأمريكية داخل البلاد العربية مما يؤدى إلى التخلى عن القيم العربية التي تعبر عن تراثها الحضاري .

(٢) تساهم الشركات متعددة الجنسيات في تكريس التبعية الإعلامية والثقافية داخل الدول العربية لصالح الدول الرأسمالية الخاضعة لها .

(٣) تعمل هذه الشركات على الدعاية للمنتجات الاستهلاكية المستوردة على حساب المنتج المحلى ، مستغلة التسويق الإعلاني الباهظ التكاليف .

(٤) تساهم هذه الشركات في إكساب جمهور المشاهدين أنماطاً استهلاكية دخيلة على المجتمع العربي .

[ب] وكالات الأنباء العالمية :-

تعد وكالات الأنباء العالمية إحدى المصادر التي اعتمدت عليها الدول المتقدمة في تحقيق أغراضها الاستعمارية سواء أكانت ثقافة أم إعلامية مستغلة

(١) عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافة فى العالم الثالث ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٧م، ص ص٩١-٩٢ .

التطور التكنولوجى في مجال الفضاء وخاصة أقمار البث التليفزيوني المباشر، حيث تمتلك هذه الدول عدداً هائلاً من هذه الأقمار.

" وتعد وكالات الأنباء القنوات الرئيسية لبث وتدفق الأنباء في العالم فهي المصدر الرئيسي للنشرات الإخبارية والمواد التي تذيعها محطات الإذاعة والتليفزيون، أي أنها أداة في تشكيل الرأي العام العالمي، حيث ترى الشعوب عن طريقها الأحداث والوقائع " [١].

وتستغل وكالات الأنباء العالمية إمكانياتها المادية المرتفعة في امتلاك أقمار البث التليفزيوني المباشر ، وهذا يساعدها على زيادة قدرتها في بث الأنباء والأحداث على مستوى العالم ، ولا توجد منافسة لهذه الوكالات من الدول الفقيرة ، وبذلك فهي تبث برامج إخبارية تخدم مصالح الدول المتقدمة التابعة لها هذه الوكالات.

ويوجد خمس وكالات للأنباء تحتكر حركة الأنباء في العالم وتتمثل هذه الوكالات في: وكالة الأنباء الفرنسية (أ.ف.ب) [*] ، ووكالة رويتر البريطانية ، ووكالة الاسوشيتدبرس ، ووكالة يونيتد برس ، ووكالة ناس السوفيتية ، وتقوم هذه الوكالات بدور عالمى هام وخطير في نقل الأخبار وتبادل الأنباء عبر قارات العالم ، ويؤهلها للقيام بهذا الدور قدرتها التكنولوجية [٢].

وتتميز وكالات الأنباء العالمية بعدة خصائص تجعل منها وسائل للتأثير الفعال أهمها :

---

(١) أحمد بدر ، الإعلام الدولى دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة : دار قباء ، ط٤ ، ١٩٩٨م ، ص١٦٧ .

(*) أ.ف.ب : أجنس فرانس برس .

(٢) عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، مرجع سابق ، ص٨٦ .

(١) أن الوكالات لها سلطة وقوة أكثر من اللازم وفى استطاعتها التغلغل في جميع المؤسسات .

(٢) أن الوكالات تختار الأخبار التي تدفق مع المواقف الغربية ومصالحها ومن ثم فهي منحازة تماما نحو تغطية أنباء الدول المتقدمة دون الاهتمام بأخبار العالم الثالث [١].

" ومن أهم الأحداث في تاريخ وكالات الأنباء الكبرى ذلك الحدث الذي دخلت فيه وكالات الأنباء عصر الفضاء باستعمال أول قمر صناعى للاتصال بغية التقاط وبث الرسالات السريعة بالتليفزيونات بين القارات " [٢]، وهذا الحدث تأثرت به المنطقة العربية ليس فيما يتصل به من مضامين للرسائل الإعلامية فحسب ، بل إن الدول العربية أصبحت محكومة بالتبعية لوسائل الإعلام الأجنبية والغربية خاصة في تلقى الأخبار ومتابعة الأحداث داخل المنطقة العربية ذاتها ، وزادت هذه التبعية عندما استغلت وكالات الأنباء العالمية امتلاكها لأقمار البث التليفزيوني المباشر في بث البرامج الإخبارية التي تخدم مصالحها وأهداف الدول التابعة لها.

ولقد ترتب على سرعة نقل الأحداث والأخبار عبر القنوات الفضائية وسيادة نظرية التدفق الحر للأنباء مجموعة من النتائج السلبية لدول العالم الثالث، من أخطرها ما يلي :

---

(١) فتحى الإبيارى ، نحو إعلام دولى جديد دراسات إعلامية معاصرة ، القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٨م ، ص٤٧ .

(٢) يوسف محيى الدين أبو هلاله ، الإعلام العربى المعاصر وأثره على الأمة الإسلامية ، عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٩٨٧م ، ص٣٧

(١) تشويه وتحريف أحداث العالم الثالث بالتركيز المتعمد على الجوانب السلبية مثل الأحداث المؤسفة وفى الوقت نفسه تتجاهل النواحى الإيجابية ، كأن تركز على الانقلابات والأزمات التي تحدث داخل هذه الدول ، وبذلك فهي تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية .

(٢) تحريف المضامين الإعلامية بما يتناسب مع مصالح الدول التي تنتمي إليها وكالات الأنباء والوسائل الإعلامية ، كأن تقوم هذه الوكالات بالتشويه المتعمد للحقائق في بيان الصراع العربي الإسرائيلي مما يؤدى إلى إثارة الرأي العام العالمي لصالح إسرائيل على حساب العرب .

(٣) تبعية الأساليب الإعلامية في العالم الثالث من حيث النمط المسيطر في أساليب التغطية الإعلامية أو اختيار الأولويات سواء في الأنباء أم البرامج الإذاعية التليفزيونية حيث تقوم وكالات الأنباء العالمية بمد الدول العربية بأخبار وأحداث العالم من الزاوية التي تقررها وبالأسلوب الذي ترغبه ، وبذلك تضمن استمرار تبعية هذه الدول [١].

(٤) هذه الوكالات تنفذ الخطة المرسومة لها من الدول التابعة لها - الدول الكبرى المتقدمة - بما يخدم أهدافها الثقافية والإعلامية داخل دول العالم الثالث بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة .

[جـ] وكالات الإعلان العالمية :-

تعد أجهزة الإعلام وخاصة القنوات الفضائية الوافدة الوسيلة المثلى التي تتبعها الوكالات الإعلانية لبث إعلاناتها ذات الأسلوب المبهر والمميز والجذاب

(١)ماجدة محمد عبد الهادى،"التبعية الإعلامية والثقافة فى العالم الثالث ومواجهتها"،مجلة الفن الإذاعى (المصرية) ، العدد (١٠٤) ، يناير١٩٨٥ م ، ص١٠ .

الذي يعجب جمهور المشاهدين ، وهى بطبيعة الحال تؤثر على الأفراد وتساهم في تغيير أنماطهم الاستهلاكية وتشجع على شراء المنتجات المستوردة ، حيث يلاحظ " أن شاشة التليفزيون في المنزل تستقبل رسالة التسويق بصورة مستمرة وبالغة التأثير فشهية شركات الإعلان لا تعرف الشبع كما أن هدفها ليس أقل من السيطرة الكاملة على وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهيرية ، وبمجرد نجاحها في إخضاع وسيلة من الوسائل أيا كانت الصفات الأصلية لتلك فإنها تتحول إلى أداة للثقافة التجارية "[1] .

إن النظام الإعلاني الذي يفرض على العالم في المرحلة الراهنة سواء من الناحية التقنية أم ما يتعلق بأجهزة الاتصال التكنولوجية المتطورة - أقمار البث المباشر - وأيضا الأسلوب والفكر والإثارة ، يجسد عدم التوازن في تدفق الإعلانات بين القوى المهيمنة على العالم متمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبين الدول النامية المغلوبة على أمرها بسبب ضعف إمكانياتها في هذا المجال .

" ومن المظاهر الهامة الدالة على تعاظم القوة الإعلانية (الأمريكية) أن من بين أكبر عشر وكالات إعلانية في العالم ليس سوى وكالة واحدة غير أمريكية ومن بين أكبر خمس وعشرين وكالة للإعلان الدولى هناك إحدى وعشرون وكالة أمريكية وسيطرة الولايات المتحدة ليست مقصورة في تأثيرها على العالم الثالث وحده بل غزت وكالات الإعلان الأمريكية معظم الدول المتقدمة الصناعية ، وكذلك نجد أن

(١) محمد السماك ، تبعية الإعلام الحر ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات ، ١٩٩١م ، ص٢٣ .

أحد مقاييس فقدان أمة لسيطرتها على وسائل إعلامها يتمثل في درجة اختراق وكالات الإعلان لوسائل وأدوات التسويق في تلك الدول " [1] .

إذا كانت الدول الصناعية المتقدمة تبذل ما في وسعها من طاقة من خلال الشركات الإعلانية العالمية لخلق أنماط استهلاكية لدى مواطنى الدول العربية ، ويظهر هذا في اقتناء أحدث الموديلات من السيارات الفاخرة والملابس المستوردة والعطور والمأكولات الأوربية والأمريكية ، وهذا يتناقض مع النمط الثقافي العربي الذي ينبع من الثقافة العربية الإسلامية .

وهكذا نجد أن الإعلان التجاري المخطط له جيداً من حيث أسلوبه وطريقة عرضه عن طريق بثه بواسطة أقمار البث التليفزيوني المباشر سوف يحقق أهدافه التي تسعى الدول الصناعية المتقدمة إلى تحقيقها بكل الوسائل التي تساعدها على ذلك، مستغلة إمكانياتها في امتلاك كبرى الشركات الإعلانية العالمية التي تسعى لتسويق منتجاتها داخل أسواق الدول النامية.

" وخطر الإعلان التجاري الذي يستخدم الدراما والعنف والانحراف الخلقي الذي يدعو إلى الإباحية وينادى بها ويخاطب عن طريقها الغرائز الحسية للشباب ويشحذ هممها باسم الإعلان عن السلع الإعلانية من بنات فكر شركات الإعلانات التجارية الأمريكية الأوروبية وللأسف الشديد أخذ أحد منفذي الإعلانات التجارية في أحد الدول العربية ينتهج هذا المنهج ولكن بأسلوب آخر متحفظ نسبى ، حيث

---

(١) فاروق أبو زيد ، انهيار النظام الإعلامي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد، القاهرة : مطابع الأخبار ، ١٩٩١م ، ص٢٠٧ .

استخدم في حملاته الإعلانية المرأة ذات الفتنه والجمال والأغراء كوسيلة من وسائل أدوات الحملة " [1] .

وبالتالى فإن أقمار البث التليفزيوني المباشر واستغلالها من الدول الصناعية المتقدمة عن طريق الشركات الإعلانية العالمية ، سوف يؤدى هذا إلى حدوث تخريب ثقافي لدى المواطن العربي ويحدث صراع بين ترف الحضارة الغربية وبين حضارته العربية المتوازنة ، وبذلك ينشأ صراع داخلى لدى الفرد ، وهنا تكمن الخطورة ويزداد شعوره بالإحباط وانخفاض معنوياته وتتأثر شخصيته وقوميته الوطنية .

"إن غالبية الإعلانات التي تمر عبر الحدود تعمل على ترويج قيم ومعايير وعادات اجتماعية واقتصادية تمهد لقبول المنتج المراد الإعلان عنه وهى بذلك تشكل خطراً على الثقافات المستقلة وبذلك فالإعلانات التي تمر عبر الحدود لا تستهدف الترويج لسلع تجارية فحسب بل تحمل داخلها قيماً اجتماعية وثقافية واقتصادية تهدف إلى تغيير أنماط الحياة السائدة في الدول النامية بحيث تتلاءم والنماذج الغربية لتعزز بذلك القيم الاستهلاكية لدى الأفراد في هذه الدول " [2]

ولهذا فإن وكالات الإعلان الكبرى العالمية في ظل امتلاكها للقنوات الفضائية الوافدة يكون لها دور في التأثير على المشاهد العربي والمصري الذي يستقبل هذه القنوات ومن أهم هذه التأثيرات ما يلي :-

---

(١) غازى زين عوض الله ، الإعلام والمجتمع ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م ، ص٩٢ .

(٢) محمد نجيب الصرايره ، " الهيمنة الاتصالية : المفهوم والمظهر " ، مجلة العلوم الاجتماعية (الكويتية) ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثانى ، صيف ١٩٩٠م ، ص١٤٧ .

١- وكالات الإعلان تسعى جادة من خلال إعلاناتها فرض أنماط استهلاكية غربية وأمريكية على جمهور المشاهدين الذين يتعرضون لمضمون هذه الإعلانات.

٢- نجد أن المضمون الإعلاني يحمل بين طياته غزواً ثقافياً لما يعرضه من قيم وعادات غربية أمريكية لا تتفق مع عادات وقيم المشاهد العربي والمصري وثقافته العربية .

٣- تساهم الوكالات الإعلانية في الترويج للسلع الأجنبية وفتح أسواق جديدة داخل منطقتنا العربية عن طريق إعلاناتها التي تبثها من خلال القنوات الفضائية الوافدة والتي تؤثر على التنمية الاقتصادية داخل المجتمع العربي بصفة عامة والمصري بصفة خاصة .

٤- تساهم الوكالات الإعلانية في إثارة غرائز شباب المراهقين جنسياً لاعتماد إعلاناتها على مفاتن وجمال المرأة واستخدامها كسلعة للتسويق للمنتجات المستوردة .

ثالثا : أهداف البث التليفزيوني المباشر :-

تعد الدول المتقدمة من أكثر الدول حرصا على إنتاج تكنولوجيا أقمار البث التليفزيوني المباشر التي تستخدمها في بث برامجها على القنوات التليفزيونية المرسلة التي نستقبلها نحن بواسطة أطباق استقبال خاصة ، وتحمل بين طياتها غزواً ثقافياً لضمان فرض سيطرتها على الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة ، لأن غزو العقول أخطر من غزو الأرض ولهذا نجد أن الدول المتقدمة تمتلك أكبر عدد من أقمار البث التليفزيوني المباشر ، حيث تقع المنطقة العربية في نطاق بثها .

ومن هذا المنطلق يؤدى البث التليفزيوني المباشر دوراً هاماً للدول المتقدمة في تحقيق أهدافها الاستعمارية والموجهة للدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة " وذلك لأن عملية البث التليفزيوني عبر الأقمار الصناعية والتي تسمح للجمهور العريض بتلقى الصور التليفزيونية مباشرة عن طريق هوائيات صغيرة تمثل مشاكل للدول النامية التي لا تمتلك وسائل الحماية لنفسها من التجاوزات التقنية، فتصبح مهددة في هويتها الثقافية ومصالحها التجارية "[1].

وتشير الدلائل إلى أن الدول المتقدمة تستخدم البث المباشر من أجل تحقيق نوعين من الأهداف ، الأول منها يتمثل في الغزو الثقافي ، أما الثاني منها فيتمثل في جعل الدول النامية تابعة لها إعلامياً ، حيث يتم التدفق الإعلامى في اتجاه واحد من الدول المتقدمة إلى هذه الدول ، أي أن أهداف البث التليفزيوني المباشر تتمثل في الآتى :-

[١] الأهداف المتصلة بالغزو الثقافي :-

تعددت تعريفات الغزو الثقافي ، حيث وردت كلمة الغزو في المعجم تحت مادة " (غزا) العدو - غزواً سار إلى قتاله - فهو غاز " [2] هذا بالنسبة للغزو ، أما الثقافي فقد جاء في المعجم تحت " (ثقف) فلان - ثقافة : أي صار حاذقاً فاطناً (ثقف) الشيء : أقام المعوج منه وسواه . والإنسان أدبه وهذبه وعلمه ، و(تثقف): تعلم وتهذب ، ويقال فلان تثقف في مدرسة كذا " [3] .

ويقصد بالغزو الثقافي " ذلك الفعل البشرى الذي يطرق العقل الإنسانى العربي ، عاطفته اليوم أكثر من الأمس من أجل إعادة صياغة وعيه وتشكيل ذهنيته

(١) محمد نجيب الصرايره ، " الهيمنة الاتصالية : المفهوم والمظهر " ، مرجع سابق ، ص١٤٩ .
(٢) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٨٥ .

وتقوية شخصيته بالتدريج وبهدوء وبخبث وخداع ومكر بطريقة تبدو وكأنها بريئة في أكثر الأحيان " [١]

والغزو الثقافي بهذه الصورة يتعلق بثقافة الترفيه والضياع والإمتاع ، وهو الثرثرة الفارغة التي تقوم بتخدير الإنسان العربي وشل دورة الحضاري والإنسانى وسط خضم الأحداث العالمية .

ويعرف " محمد سيد محمد " الغزو الثقافي على أنه كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج يستهدف - صراحة أو ضمنا - تحطيم مقومات الأمة ، العقيدية والفكرية والثقافية والحضارية أو يتحرى التشكيك فيها ، والحط من قيمتها وتفضيل غيرها عليها وإحلال سواها محلها في الدستور أو مناهج التعليم أو برامج الإعلام أو الأدب والفن أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة "[٢] .

والغزو الثقافي بهذا المفهوم يختلف عن التبعية الثقافية ، حيث يفرض نفسه على المجتمع سواء رغب أم لم يرغب ، أما التبعية الثقافية من جانب مجتمع آخر فتتم بقبول أو رضا المجتمع التابع .

ويختلف هذا الرأي إلى حد ما عما أورده " برهان غليون "والذى يعرف التبعية الثقافية " بأنها نمط العلاقة التي تجعل بعض الثقافات تعتمد اعتماداً بنيوياً في إنتاج القيم والمعانى والأفكار والمعارف التي تحتاج إليها مجتمعاتها على ثقافات أخرى تمارس تجاهها سيطرة ما"[٣] طبقاً لهذا المفهوم لا يوجد "خلاف في المضمون بين مفهوم التبعية الثقافية والغزو الثقافي ، فالمفهوم الأول يشير إلى

(١) عبد الوهاب زيتون ، الغزو الثقافى عوامله وأشكاله ، بيروت : المنارة ، ١٩٩٥م ، ص١٦ .
(٢) محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر ، القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٤م،ص١٦.
(٣) برهان غليون ، " التنمية الثقافية العربية بين التبعية والانغلاق " ، مرجع سابق ، ص١٤ .

الظاهرة نفسها من واقع الثقافة المتعرضة لفعل السيطرة ، والثانى ينظر إليها من موقع الثقافة المسيطرة وفى الحالتين تعبر التبعية أو الإمبريالية (*) عن الهيمنة التي تمارسها ثقافة من الثقافات على غيرها " (١) .

ويبرر برهان غليون اتجاهه بأن "بواطن الأمور كانت تشير إلى أن العالم العربي كان مستهدفاً بغزوة شرسة تخطط لهز كيان شبابه بالإغراق في الملذات والاندماج وراء برامج مسمومة تأتى من الفضاء بلا رقيب ، وأشارت أصابع الاتهام إلى أن أولاد العم وخلفاءهم يسممون الكيان العربي بمختلف وسائل الغزو بالإغراق في المخدرات والغزو الثقافي المباشر المتلفح بأستار السلام ونسيان الماضى والغزو اللاأخلاقى عبر قنوات مخطط لها أن تأتى من الأقمار الأوروبية والأمريكية والتركية وغيرها " (٢)

وتتمثل الخطورة في إفراط بعض محطات البث التليفزيوني المباشر في تقديم الجنس بصفة أساسية فيما تبثه من أفلام ومسلسلات وإعلانات ، دون مراعاة الجوانب الأخلاقية ، ودون مراعاة للقطاع العريض والحساس من المراهقين والأطفال الذين يشاهدون هذه المثيرات التي تؤثر على وعيهم وتنشئتهم الاجتماعية ، وتكسبهم قيما وعادات لا تتمشى مع القيم والعادات العربية .

وتسعى الدول المصدرة لعناصرها الثقافية - المنافية للثقافة القومية والعربية - عبر الأقمار الصناعية إلى استخدام طرق الغزو الثقافي والتي تتمثل في الآتى :-

---

(*) الإمبريالية : ترجمة مفهوم الغزو الثقافى .
(١)برهان غليون ، " التنمية الثقافية العربية بين التبعية والانغلاق " ، مرجع سابق ، ص١٤.
(٢) سعد شعبان ، القمر الصناعى المصرى " نايل سات " ، مرجع سابق ، ص١٦٤ .

الطريقة الأولى : تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وذلك من خلال :

أ - قيام وسائل الإعلام الأوربية والأمريكية باستخدام وكالات الأنباء العالمية في التركيز على الأحداث الإخبارية التي تبين أن الفرد العربي إرهابى ويقوم بالأعمال التخريبية .

ب - قيام بعض القنوات الفضائية الوافدة بدور الاستعمار قديما عن طريق " إصابة العلوم الدينية في مقتلها بعد إسقاطها عن مكانتها التقليدية وأيضا كل ما يرتبط بعلوم الدين وعلوم اللغة وفنون الأدب والعمل على أضعافها نظراً لأن الإسلام عقيدة وشريعة وتربية وتقاليد وأن الثقافة المصاحبة لهذا كله متشبعة ومتكاثرة فإن الاستعمار قدر لتدمير هذه الثقافة " (١) .

جـ - قيام بعض القنوات الفضائية الوافدة بالتركيز على إظهار الفرد العربي بمظهر غير لائق إما داخل بيوت تمارس بها الدعارة ، أو بث مناظر تظهر الفتيات العربيات وهن يمارسن الجنس .

د - قيام بعض القنوات الفضائية الوافدة بالتركيز على قضية الحدود الشرعية متمثلة في الإعدام وقطع اليد وختان الأنثى وغيرها ، وهذا يخالف حقوق الإنسان من وجهة النظر الغربية مع أن هذه القضايا الشرعية مستمدة من العقيدة الدينية الإسلامية .

الطريقة الثانية : التشكيك في تاريخ الأمة العربية ، وذلك على النحو التالى :

أ - تقوم بعض القنوات الفضائية الوافدة بممارسة الغزو الثقافي على المسلمين بما يشككهم في دينهم ومجتمعاتهم ويدعوهم للتعلق بالمجتمعات التي يصدر عنها

---

(١) محمد الغزالى ، الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٨م ، ص٣٢ .

obeikandl.com

الغزو ، وبالتالى تقبل المذاهب الغربية التي تتناقض مع تعاليم الإسلام بحيث تصبح المجتمعات الغربية وصراعاتها ومذاهبها وتياراتها الفكرية المثل الأعلى (الحلم الوردى) في المجتمع الإسلامى .

ب- تركز بعض القنوات الفضائية الوافدة على إظهار المجتمعات الأوربية والأمريكية بأنها مجتمعات لها تاريخ وتعتمد على الحداثة والرقى والتقدم ، في الوقت ذاته تصور التاريخ العربي بأنه تاريخ عصابة إرهابية أهدافها الطمع والجشع والاغتيال في الماضى والحاضر ويؤكد هذا محمد الغزالى بقوله : " إن الغزو الثقافي يستطيع خلال هذا الأمر المتطاول خلق جيل زاهد في الانتماء لدينه وغير متحمس له ولا حريص عليه يهاب الأديان الأخرى ولا يهاب عقيدته ويفضل الألسنة الأخرى ، ويستهين بلغته ويكرم زعماء العالم قديما وحديثا أما رجالات الإسلام فليسوا أهلا لاكتراثه وربما نال منهم وأزرى عليهم"[١] .

الطريقة الثالثة : هدم اللغة العربية حيث :

يحاول الاستعمار في المشرق العربي باستمرار " هدم اللغة العربية وإحلال العامية محلها إلى جانب لغته الأجنبية التي سعى لأن تكون لها السيادة ، ولكن محاولاته لم تحقق أهدافه ، وإنما أضعفت الفصحى إلى حد ما وأثرت على اللغة العربية كما هو الحال في المغرب والجزائر " [٢] وعلى الرغم من انخفاض نتيجة نجاح الدول الاستعمارية في الماضى ألا إنها تكرر في هذه الفترة محاولاتها بصورة

(١) محمد الغزالى ، الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا ، مرجع سابق ، ص٣٤ .
(٢) محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

جديدة تتمثل في بث برامجها الوافدة عبر أقمار البث التليفزيوني المباشر اعتقاداً منها بأن:-

أ - تساهم الإعلانات التليفزيونية الوافدة عبر القنوات الفضائية الأجنبية والعربية في نشر أسماء غربية وأمريكية لبعض المأكولات والمحلات التجارية ، وأيضاً بعض المفاهيم والألفاظ الدارجة بين الشباب داخل المجتمع المصري مما يؤثر على اللغة العربية .

ب- تساهم بعض القنوات الفضائية العربية والقنوات المحلية في هدم اللغة العربية الفصحى لأنها تبث برامج تعتمد على اللغة العامية مما يساهم في انتشارها بين جمهور المشاهدين على حساب اللغة العربية الفصحى .

الطريقة الرابعة : محاولة تفتيت الوحدة الوطنية من خلال :

أ - قيام وكالات الأنباء العالمية بتزييف الحقائق وتشويهها بهدف إثارة المسلمين والمسيحيين داخل المجتمع الواحد .

ب-تركيز بعض البرامج الوافدة عبر القنوات الفضائية على بعض الجوانب التي تهدف من ورائها تفتيت ترابط المجتمع وتماسكه من خلال ضرب الوحدة الوطنية داخل المجتمع الواحد.

جـ - تركيز بعض البرامج الوافدة عبر القنوات الفضائية على ظهور بعض الأقليات المسلمة في بعض البلدان الأوربية والآسيوية بمظهر الأشخاص الذين يحاولون إثارة الشغب والفتن ومهاجمة حكومة الدول الموجودة بها هذه الأقليات رغم أنها مسلمة تحاول المحافظة على عقيدتها الدينية في وسط بلدان تدين بأديان مختلفة .

الطريقة الخامسة : زرع الإحباط وعدم الثقة بالنفس داخل المجتمع العربي حيث:

أ - تعتمد الدول الاستعمارية على وكالات الأنباء الأوربية والأمريكية في نشر أخبارها ، التي تتسم التحليلات فيها بالتشاؤم والسلبية وتصوير مدى تفاقم الأزمات والصراعات ، وفى الوقت نفسه توضح مدى نفوذ الهيمنة الأمريكية والأوربية ، مما يؤدى إلى زرع الإحباط داخل أفراد المجتمعات العربية ، وكان من المتوقع أن تخفف بعض الفضائيات العربية من حدة ذلك ، ألا أن الإعلام العربي ساهم هو الآخر في " ترسيخ الكآبة في الوجدان العربي بذلك الجو المسيطر على تحليل الموقف الدولى في معظم الأحيان وهو جو متشائم يطلق على العالم أنه في أزمة " [1] فمع دخول العرب عصر الفضائيات زاد الموقف تأثر بسبب اعتمادهم على البرامج الأوربية والأمريكية المستوردة أو التقليد في ملئ بث ساعات قنواتهم الفضائية .

ب-ساهم استغلال بعض الدول المتقدمة إمكانياتها التكنولوجية في تدفق المعلومات عبر أقمار البث التليفزيوني المباشر ، بجانب اعتماد الإعلام المحلى على الإنتاج الأوربى والأمريكى في كثير من مواده الإعلامية في انفصال النشء عن مجتمعه وإصابته بالكثير من الأمراض الاجتماعية كالاغتراب ، فبدأ يفصله عن مجتمعه وقيم هذا المجتمع وزرع شعور الغربة والإحباط في نفسه وهو داخل مجتمعه وإلحاقه بالتبعية الثقافية عن طريق التقليد الذي هو المدخل لإدارة الظهر لثقافة مجتمعه .

---

(١) محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

وعلى الرغم من التفاؤل الذي عاشته المجتمعات العربية مع إطلاق بعض الأقمار الصناعية ، إلا أن نتائج الكثير من الدراسات تؤكد نجاح الغزو الثقافي في تحقيق معظم أهدافه مهددة للثقافة المحلية نتيجة معيشة الإعلام المصري في مرحلة الطفولة ، وارتفاع تكاليف البرامج المصممة محلياً ، وما قد يترتب عليه من اللجوء للشراء ، وهنا يكمن الخطر في البرامج الوافدة أياً كان نوعها .

ويذكر " ياس خضر البياتى"[1] بعض الملامح العامة لنماذج مضامين المادة الإعلامية الأمريكية والأوربية الموجهة لجمهور العالم الثالث وخاصة الشباب منها والتي كان من أهمها ما يلي :

(١) الغلو في اللامنطقية وإلغاء العقل في فهم الأشياء والعلاقات والأحداث ويتمثل ذلك في مجموعة كبيرة من الأفلام العلمية والخيالية مثل أفلام الفضاء والصحون الطائرة ...الخ .

(٢) تمجيد المغامرة الفردية والشعور بالعظمة الذاتية وقتل الإحساس بالجماعة .

(٣) الترويج للعنف والوحشية والقتل كما في معظم أفلام الغرب الأمريكي التي تمتلئ بها دور السينما ومحطات التليفزيون في العالم الثالث .

(٤) النزول بالمرأة من مستواها الإنسانى وجعلها سلعة واقترانها بالذات ونزوات الرجال والانحراف بالأسرة من غاياتها وأهدافها الاجتماعية .

---

(١) يس خضير البياتى ، " تأثير غزو الإعلام المرئى الدولى فى تعميق السلوك الانحرافى خطة إعلامية للمواجهة والتحصين " ،مجلة البحوث الإعلامية (الليبية) ، العدد (١٩) ، السنة (٥) ١٩٩٦م ، ص ٧٤ .

(٥) نشر أفلام العنف والجنس لتهديم ذاتية الشباب وطاقاتهم بما يجعلهم غير قادرين على التكيف مع الواقع .

وأيضاً ليست الخطورة وحدها من البرامج الوافدة من أوروبا أو أمريكا ولكن هناك خطر له أبعاده الاستعمارية الثقافية ألا وهو الإعلام الإسرائيلي الذي يصل من خلال القمر الصناعى الإسرائيلي الذي يهدف إلى تبديل بنية العقل العربي وسلبه شخصيته وقوميته العربية .

ويذكر تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي [١] المرتكزات التي يقوم عليها المخطط الإعلامى الإسرائيلي والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

(١) محاولة زرع الشك والريبة فيما بين العرب ومحاولة تقسيمهم إلى صفوف سياسية واجتماعية وطائفية .

(٢) محاولة استلاب حق العرب المشروع في استرجاع أرضهم .

(٣) محاولة إظهار العرب بالمظهر المتخلف .

(٤) محاولة تعميق الخلاف بين وجهات النظر بين العرب ودول العالم .

(٥) محاولة تخريب أية علاقات ثنائية بين دول العالم المتقدم والأقطار العربية .

(٦) زعزعة ثقة شعوب ودول البلدان النامية بالعرب .

(٧) إظهار منظمة التحرير الفلسطينية بمظهر الرافض لكل تسوية سلمية .

---

(١) تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال فى الوطن العربى ، الإعلام العربى حاضراً ومستقبلاً ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٧م ، ص ١٨١ .

obeikandl.com

خلاصة القول أن الغزو الثقافي الوافد عبر الأقمار الصناعية عن طريق البث التليفزيوني المباشر الأوروبى أو الأمريكي أو الإسرائيلي يستهدف في النهاية المواطن العربي بصفة عامة والمصري بصفة خاصة ، والتأثير على عقليته وشخصيته وقوميته ، وتنمية أخلاقه المنافية للقيم والأعراف ، وبالتالى تضمن هذه الدول ضياع شباب الأمة بإغراقه بالبرامج الوافدة المليئة بالمناظر العارية والمواقف الجنسية والمليئة بالعنف أيضاً .

[٢] الأهداف المتصلة بالتبعية الإعلامية :-

تعددت تعريفات التبعية الإعلامية نتيجة لاختلاف الرأي حول مصطلح "التبعية "، حيث وردت كلمة التبعية في المعجم تحت مادة " (تبع) الشيء ، تبعاً وتبوعاً أي سار في أثر أو تلاه ، ويقال تبع فلانا بحقه ، طالبه به وتبع المصلى الإمام: حذا حذوه واقتدى به " [١] ، هذا بالنسبة للتبعية ، أما الإعلامى فقد جاءت في المعجم تحت " (أعلم) فلانا فخبروه به : أخبره به " [٢] .

ويقصد بالتبعية الإعلامية (Media Dependency) التسليم والاعتماد على ما تقدمه دول أخرى من إعلام دون أن يكون للدول التابعة نشاط مضاد أو إنتاج إعلامى تستطيع من خلاله التحرر من التبعية ، أي أنها تتمثل فيما " تقدمه الدول الصناعية من تكنولوجيا إعلامية وأنظمة وممارسات مهنية إعلامية ومواد وبرامج إعلامية للدول النامية لاستهلاكها ، مما يعمل على صنع وتعميق التبعية الإعلامية لهذه الدول النامية وزيادة اعتمادها على الدول الصناعية المتقدمة " [٣] .

---

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤٣٢ .
(٣) عثمان بن محمد الأخضر العربى ، " النظريات الإعلامية المعيارية " ، مجلة كلية الآداب (الكويتية) ، الحولية السادسة عشرة ، الرسالة الثانية عشرة بعد المائة ، ١٩٩٦م ، ص٨٣ .

والتبعية الإعلامية بهذه الصورة تشمل مرحلتين الأول : منها الخاصة بالتكنولوجيا الإعلامية (الأجهزة والأدوات والمعدات) والثانية منها الخاصة بالبرامج (الأفلام والمسلسلات وغيرها) وفى كلتا المرحلتين تعتمد الدول النامية على استيرادها من الدول المتقدمة الصناعية .

وأيضا تعرف التبعية الإعلامية " بأنها تدفق المعلومات في اتجاه واحد من العالم الصناعى المتقدم إلى العالم الثالث ، ومن هذه العلاقة غير المتكافئة تبرز الحلقة الرئيسية وهى التبعية التي تسود أغلبية دول العالم الثالث ، ولحل أخطر أنواع التبعية هى ما يتعلق بمضمون الرسائل الإعلامية " [١] .

وهكذا تنطلق فلسفة الغزو الإعلامى من مبدأ التدفق الحر للمعلومات من جانب واحد من الدول المتقدمة التي تمتلك تكنولوجيا الفضاء وبذلك فهي المصدرة للبرامج والأجهزة الإعلامية والأنظمة والممارسات المهنية الإعلامية ، التي تتيح لها فرص تحقيق سياستها وأهدافها الاستعمارية .

" وتشير الخريطة الإعلامية الراهنة للعالم إلى أن التفاوت في السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له انعكاساته السلبية المباشرة على البنية الإعلامية والتدفق الإعلامى مما أدى إلى خلق أشكال متباينة مع عدم المساواة والاختلال والتفاوت الإعلامى كما زاد اتساع الفجوة بين من يملكون المعلومات ووسائل نشرها وتوزيعها وبين من يفتقرون إليها " [٢] .

---

(١) تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال فى الوطن العربى ، الإعلام العربى حاضراً ومستقبلاً ، مرجع سابق ، ص ص٦٢-٦٣ .

(٢) عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، مرجع سابق ، ص٧٧ .

ويـذكر شـيلر (Schiller) " أن هـذه التكنولوجيـا والأنظمـة والممارسـات والمـواد الإعلاميـة المنقولـة مـن دول العـالم المتقـدم للاسـتهلاك في دول العـالم النـامى تعمل على تشويه البيئات الثقافية في دول العالم النامى وتسهم في إحداث سلبيات عالميـة مثـل خلـق الثقافـات المهجنـة والتخريـب الثقـافي والسـيطرة الثقافيـة والإعلامية " [١] .

وفى هذه الفترة الراهنة تواكب الدول العربية التطور السريع والعميق الذي طرأ على تكنولوجيا الفضاء الإعلامى ولكن هذه المواكبة تتسم بالتبعية الإعلامية الاستهلاكية لهذه التقنية لأنها تعتمد على الدول المتقدمة التي تمتلك تكنولوجيا الفضاء .

ويبين فاروق أبو زيد [٢] بعض الظواهر التي تؤكد تكريس التبعية الإعلامية لدول العالم الثالث وكان من أهمها ما يلي :

أ - إن غالبية وسائل الاتصال والإعلام المستخدمة في الدول النامية ، قد صنعت خارجها ، فالبنية الأساسية للاتصال والإعلام لا تنتج في هذه الدول بل يتم استيراد الآلات من الدول المتقدمة ، حيث لا وجود لأى صناعات لمستلزمات وسائل الاتصال والإعلام في الدول النامية .

ب- إن المؤسسات الإعلامية الدولية ، وأغلبها مملوك للدول الاستعمارية القديمة ، تحتكر نسبة كبيرة من مصدر المعلومات الإعلامية المستخدمة في دول العالم الثالث ، وتكاد تنفرد بخمس وكالات للأنباء للسيطرة على حركة تبادل الأخبار الدولية .

---

(١) عثمان بن محمد الأخضر العربى ،" النظريات الإعلامية المعيارية "، مرجع سابق ، ص٨٣.

(٢) فـاروق أبـو زيـد ، انهيـار النظـام الإعلامـى الـدولى مـن السـيطرة الثنائيـة إلـى هيمنـة القطـب الواحد،مرجع سابق ، ص ص١٦٨-١٧٠ .

جـ- توجد عشرات من الإذاعات الموجهة إلى دول العالم الثالث وبلغتها الوطنية - اللغة العربية - من الدول الأوروبية والأمريكية والأسيوية .

د - توجد ٢٧ وكالة إعلانية دولية تسيطر على سوق الإعلان الدولى وتتحكم فيها الدول المتقدمة .

أي أن مصادر البث المباشر أصبحت أداة مرنة في أيدى الدول الصناعية المتقدمة لتصدير الثقافة والفكر ، لأن من يملك تكنولوجيا الاتصال والمعلومات يستطيع أن يوجه تلك المعلومات التي تتفق فقط مع مصالحه وتخدم أغراضه وأهدافه التي يسعى لتحقيقها .

وتهدف الدول الكبرى من تصدير تكنولوجيا الفضاء والبرامج الوافدة للدول النامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة إلى تحقيق التبعية الإعلامية ، من خلال زيادة التدفق الإعلامى واتساع الفجوة الإعلامية ، وبذلك تضمن الدول المتقدمة سيطرتها على تدفق المعلومات التي تخدم مصالحها الخاصة على حساب الدول النامية ، وذلك لأن هذا التدفق ذا الاتجاه الواحد الرأسى يشكل "ضرراً بالغاً على الحقوق القومية للشعوب النامية سواء في مجال الثقافة أم في مجال الإعلام فمن المسلم به أن مبدأ التدفق الحر قد أرسى استخدامه من جانب الدول الصناعية المتقدمة ، إذ كثيرا ما استخدمته هذه الدول كأداة اقتصادية وأيديولوجية للسيطرة على شعوب الدول النامية ، والتدخل في شئون دول العالم الثالث سعيا لانتهاك سيادتها القومية ، وضرب سياستها الإنمائية ، وتخريب ثقافتها القومية " [١] .

---

(١) ماجده محمد عبد الهادى ، " التبعية الإعلامية والثقافة فى العالم الثالث ومواجهتها " ، مرجع سابق ، ص ص٩٩-١٠٠ .

ويعد البث التليفزيوني المباشر من أهم الأدوات التي تساهم في تحقيق التبعية الإعلامية التي تسعى لها الدول المتقدمة مستغلة تفوقها في مجال تكنولوجيا الفضاء ، ومن ثم فقد ساهمت الدول العربية - باعتبارها دول نامية - بطرق مباشرة أو غير مباشرة في تحقيق هذه التبعية الإعلامية ، لأن فضائياتها وقنواتها المحلية تستورد برامج من الدول الأوروبية والأمريكية ، وأيضا تقلد بعض البرامج الغربية ، بل وتعتمد في نشر الأخبار على المحطات التليفزيونية العالمية ، وبهذا أصبح " الاختراق الإعلامى يتجسم اليوم في ما نشاهده على شاشة التليفزيون العربي ممضاة من قبل سى.إن.إن (C.N.N) أو أورونيوز (Euronews) أو غيرها من المحطات التليفزيون العالمية ، ولعل خير دليل على ذلك ما تبثه بعض الفضائيات العربية " (١) .

خلاصة القول أن الدول المتقدمة سواء أكانت أوروبية أم أمريكية أم إسرائيلية تهدف إلى السيطرة على الدول النامية من خلال التبعية الإعلامية التي تساعدها على تحقيق أهدافها والتي تتمثل في الآتى :-

الهدف الأول : بقاء الحقبة الاستعمارية :-

تشير الأحداث الجارية إلى أن الدول ذات النزعة الاستعمارية تخطط باستمرار من أجل السيطرة على المجتمعات النامية ، ونظراً لأن دخول هذه الدول في صدام عسكرى قد يعرضها لانهيارات اقتصادية وحرج سياسى ، لذا كان السبيل هو السباق الإعلامى الذي يشبع نزعتها الاستعمارية ويخلصها من المشكلات

(١) عبد القادر رحيم،" القنوات الفضائية وظاهرة العنف " ، المجلة العربية للثقافة (التونسية) ، العدد (٣٣) ، السنة السادسة عشرة ، سبتمبر ١٩٩٧م ، ص١٩٤ .

المترتبة على الاستعمار العسكرى ، خاصة وأن "النظام الإعلامى الراهن يعمل على إبقاء نوع من الاستعمار السياسى والاقتصادى والثقافى ينعكس غالبا على تفسير الأنباء المتعلقة بالبلدان النامية ، وكذلك تشويه المعلومات " (١).

وتساهم إمكانيات وقدرة الدول المتقدمة على امتلاكها تكنولوجيا أقمار البث المباشر في مساعدتها على بقاء استعمارها للدول النامية ، ولكن هذا الاستعمار يختلف في الأسلوب والوسائل عما مضى ، حيث استبدل السلاح العسكرى بالسلاح الإعلامى الذي من خلاله تتحكم هذه الدول في كم ونوع وحجم المعلومات المتدفقة - من اتجاه واحد - والتي تبث إلى دول العالم الثالث .

الهدف الثاني : تحقيق الهيمنة الفعلية والرغبة في السيطرة :-

وقد أصبحت وسائل الإعلام إحدى وسائل القوة التي تستغلها الدول المسيطرة في زيادة الفجوة - في تدفق المعلومات - بينها وبين الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة ، وبذلك تضمن هذه الدول تبعية الدول العربية لها كمستهلك للتقنيات التكنولوجية الخاصة بوسائل الاتصال وأيضا كمستهلك للمعلومات ، وبهذا تتحقق الهيمنة الكاملة والفعلية .

" وتظهر هذه الهيمنة والسيطرة في عدم الاهتمام الملحوظ لوسائل الإعلام في الدول المتقدمة ولاسيما في الغرب ، بمشكلات واهتمامات وتطلعات الدول النامية لأن القوة المالية والصناعية والثقافية والتكنولوجية التي تدعم العمل الإعلامى في

(١) مصطفى المصمودى ، " النظام الإعلامى الجديد " ، من سلسلة عالم المعرفة ، (تصدر عن : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت) ، العدد (٩٤) ، ١٩٨٥م ، ص٤٤ .

البلدان المتقدمة لا تجعل من البلاد النامية إلا مجرد مستهلكة للمعلومات التي تباع مثل أي سعة أخرى " [1] .

الهدف الثالث : تشويه المعلومات المتصلة بالبلدان النامية:-

تسعى الدول ذات النزعة الاستعمارية إلى تشويه صورة الدول النامية ، حيث تستغل تبعية الدول النامية لها إعلامياً في نقل معلومات ناقصة ومتضاربة بل ومزيفة عما يحدث داخلها بهدف إعطاء المستمع والمشاهد البعيد عن مجرى الأحداث معلومات مشوهة تشككه في قدرة الدول النامية على الرقى والتقدم .

فنظراً لأن أخبار الأحداث الجارية في البلاد النامية تنقل إلى العالم عن "طريق وسائل الإعلام العالمية وهذه البلاد في الوقت ذاته تحاط علما بما يجرى في الخارج عن طريق نفس القنوات ، لذا تعرض وسائل الإعلام العالمية بطريقتها الخاصة تصورها للعالم على البلدان النامية أن ترسل إليها الأنباء التي عالجتها أي الأنباء التي وضعتها وقطعت أوصالها وشوهتها بما يخدم مصالحها داخل هذه الدول ويضمن تحقيق أهدافها " [2] .

ولا تقتصر أهداف التبعية الإعلامية على ما سبق ، بل أن للتبعية الإعلامية الناتجة عن الغزو الإعلامى الكثير من الأهداف ذكر منها " ياس خضير البياتى " ما يلي [3] :-

(١) أحمد بدر ، الإعلام الدولى دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية ، مرجع سابق ، ص٩٥ .
(٢) مصطفى المصمودى ، " النظام الإعلامى الجديد "، مرجع سابق ، ص٤٣ .
(٣) يس خضير البياتى ، "تأثير غزو الإعلام المرئى الدولى فى تعميق السلوك الانحرافى خطة إعلامية للمواجهة والتحصين " ، مرجع سابق ، ص ص٧٠-٧١ .

[١] نقل النماذج الغربية في الحياة وتعميقها في حياة الشعوب بشكل مشوهه وذلك بتوظيف المادة الإعلامية والثقافية لنقل الأنماط الاستهلاكية والسلوكية السائدة في الغرب .

[٢] نقل المعلومات التي من شأنها تفتيت المجتمعات وخصوصيتها وتدمير القيم والأفكار لفرض الهيمنة السياسية .

[٣] السعى لتحقيق الهيمنة السياسية والإعلامية والاقتصادية من خلال الأساليب المتعددة في ضوء المتغيرات السياسية والمكانية والزمانية .

[٤] استخدام كافة الوسائل والأساليب المحققة لفلسفة الغزو الإعلامى التي تنطلق من أيديولوجية النظام الرأسمالى القائم على عقلية السوق والمصالح .

ويضيف " زهير أحمد حامد الشربتى " [١] سبعة أهداف أخرى للتبعية الثقافية يمكن استنتاجها من خلال متابعة الإعلام المضاد [*] وهى :-

[١] إلقاء حالة التخلف الحضاري للفرد والمجتمع العربي بما يجعله ضعيفا في مواجهة تحدياته الداخلية والخارجية .

[٢] إبقاء حالة التجزئة نفسياً وجغرافياً داخل الفرد والمجتمع العربي وتغليب التناقضات الثانوية على التناقضات الرئيسية

[٣] التشكيك بقدرة الفرد العربية وتغذيته المستمرة بقيم وتقاليد جديدة طارئة على الوطن العربي وعلى تراثه الحضاري .

---

(١) زهير أحمد حامد الشربتى ، " مؤشرات واقع الإعلام العربى المضاد " ، مجلة البحوث (العراقية) ، العدد الثامن والعشرون ، ديسمبر ١٩٨٩م ، ص٦٠ .

(*) الإعلام المضاد : هو فن اختراق الإعلام وتشويهه .

[٤] خلق بؤر توتر إعلامية داخل الوطن العربي وإبراز التناقضات بين أجهزة الإعلام العربية المختلفة وتشجيع اتجاهات ومجالات التجزئة في الوطن العربي .

[٥] إضعاف الصلة بين وسائل الاتصال العربية وبين الفرد العربي ، والتشكيك بإمكانية تحقيق نقله نوعية في عمل وسائل الاتصال ومصداقيتها .

[٦] تشويه التاريخ العربي وزج المجتمع العربي بمواجهة مباشرة مع القوى الدولية المختلفة في محاولة لإنهاك وتشتيت طاقته .

[٧] تجميل صورة أعداء العرب عبر قنوات الاتصال ، وبالتالى إظهار تلك القوى بمظهر المدافع عن القيم الحضارية والديمقراطية وبعدم جدوى الصراع بين المجتمع العربي وأعدائه بما يؤدى في المحصلة إلى محو المقومات القومية للوطن العربي ، وشرذمة الإعلام العربي ، وتشتيت جهده وتحديد تأثيره وفاعليته .

وتسعى الدول الاستعمارية الإمبريالية بكافة السبل إلى تحقيق هذه الأهداف ، ويظهر بوضوح في " أن الحركة الصهيونية التي تسيطر على مؤسسات الإعلام والمعلومات في النظام الرأسمالى تطبق مخططاتها القديمة والجديدة في نشر الإباحية والانحراف في مضامين الرسائل الإعلامية التي تغزو شعوب العالم ، فهذه الحركة كما أشارت أدبياتها على أهمية السيطرة على الإعلام من أجل السيطرة الكاملة على (الروح البشرية) وإلهاء الشباب (بشتى ضروب التسلية وإثارة العواطف ونشر الفسق المبكر) " [١] .

---

(١) يس خضير البياتى ، " تأثير غزو الإعلام المرئى الدولى فى تعميق السلوك الانحرافى خطة إعلامية للمواجهة والتحصين"، مرجع سابق ، ص٧١ .

ويلاحظ على الإعلام الغربى أنه يتسم بالإباحية والفحش والأفكار والمسلسلات البذيئة والأغانى الهابطة ، والجرى المتلاحق وراء اللذة والمتعة ، وأصبح دعوة فاضحة إلى العرى والفجور ويظهر هذا في بعض البرامج التي تبثها القنوات الفضائية الأجنبية التي تستقبلها المجتمعات الإسلامية والعربية .

رابعا : موقف العرب من البث التليفزيوني المباشر : -

لقد أدركت الدول العربية ومنها مصر خطورة البث المباشر وما يسعى إلى تحقيقه من أهداف هابطة ، وحاولت بكل السبل التغلب على الآثار الناجمة عنه بسن القوانين المنظمة للتعامل مع أجهزة استقبال هذا البث خاصة أن الوطن العربي يقع في مجال بث العديد من الأقمار الأوربية والأمريكية والروسية والأسيوية [1] ، وذلك نظراً لأن هذه الدول مستهدفة من الدول التي تمتلك تكنولوجيا البث التلفزيونى المباشر .

تعد مصر من الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وبالتالى في مقدمة الدول العربية التي تتعرض للبرامج الوافدة عبر الأقمار الصناعية الأوربية والأمريكية والأسيوية ، وهنا تكمن الخطورة على أفراد المجتمع المصري أطفالاً وشباباً وشيوخاً لما تحمله هذه البرامج بين طياتها من تأثيرات مختلفة ثقافية واجتماعية وعقائدية واقتصادية وسياسية .

" ويلاحظ أن إطلاق أقمار البث المباشر التليفزيوني يجعل هذا البث يغطى مناطق أوسع بل يغمر دولا بكاملها وربما جعلت التليفزيون مستقبلاً أقرب ما

---

(١) هبة أمين أحمد شاهين ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE" مرجع سابق ، ص٥٤ .

يكون إلى إذاعات الراديو الموجهة ، ولكن البث التليفزيوني سوف يكون أعمق تأثيراً لاعتماده على صورة مما يجعل الرسالة أكثر استيعاباً من جانب المشاهد حتى لو لم يكن يصلها باللغة التي تذاع بها ، وقد أطلقت معظم الدول الأوربية أقمار البث المباشر مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا " [١] .

ويوجد تفاوتاً بين الدول العربية في رؤيتها لاستقبال البث المباشر فمنهم من أقبل على اقتناء الأطباق الهوائية ومنهم من وضع قيوداً على هذه الأطباق ومنهم من رفض تصنيع وبيع هذه الأطباق .

" فقد رحبت بعض الدول بالقنوات الفضائية الوافدة وقبلتها بلاد المغرب العربي ، ففى تونس صدر القانون رقم (١) لسنة (١٩٨٨م) والذى نص على حق الأفراد في اقتناء هذه الأجهزة بعد دفع رسم خاص مرة واحدة عند إدخالها أما بالنسبة للفنادق والأندية وقاعات العرض فتقوم بدفع رسم سنوى كما تخضع الجهات التي تتولى بيع الأجهزة أو تصنيعها لرسم يدفع عند فتحها الترخيص من السلطات المختلفة ، وقد أقيم مصنع تابع لشركة (سوكا) عام (١٩٨٦م) لتجميع بعض أجزاء الهوائيات لحساب شركة فرنسية " [٢] .

" ولقد سمحت الجزائر باستقبال القنوات الفضائية الوافدة وتأسست شركة (سافات) مشاركة مع بعض المؤسسات الفرنسية لتصنيع وتوزيع الهوائيات ، وهكذا يتضح سرعة استجابة دول المغرب العربي (تونس والجزائر

---

(١) سوزان يوسف أحمد القلينى ، " الإعلام الدولى وتحديات القرن الحادى والعشرين " ، مجلة الفن الإذاعى (المصرية) ، العدد (١٥٢) ، يناير - مارس ، ١٩٩٨م ، ص٤١ .

(٢) هبة أمين أحمد ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE " ، مرجع سابق ، ص٥٤.

والمغرب) للتطور الهائل في مجال الأقمار الصناعية وذلك من خلال السماح باستقبال إرسال القنوات الفضائية الوافده عبر الأقمار الصناعية باستخدام الهوائيات المخصصة للاستقبال وذلك نتيجة تعرض تلك الدول للإرسال التليفزيوني الأوربى أغلب فترات العام بسبب التقارب الجغرافى والحوائط الثقافية التي غرسها الاستعمار"[١]

ومن الملاحظ أن الدول الغربية هى التي ساعدت الدول العربية على اقتناء الأطباق الهوائية ، وهذه الدول الغربية هى التي كانت مستعمرة لدول المغرب العربي سابقا ، وبهذه الطريقة تضمن الدول الغربية استمرارية الاستعمار ولكن هناك فارق كبير بين الاستعمار في الماضى وفى الفترة الراهنة ، من حيث اختلاف الطريقة والأسلوب حيث أن الأسلوب الحديث أعتمد على أقمار البث التليفزيوني المباشر لبث برامجها داخل الدول العربية .

" وفى مصر صدر قانون السماح باقتناء أطباق استقبال القنوات الفضائية عام (١٩٩١م) مع تحديد قطرها (٢٤٠سم) للأفراد،(٣ متر) للهيئات والمؤسسات وأصبح في متناول المواطن المصري الحائز للهوائى في إمكانه مشاهده مائه قناة تليفزيونية وافدة عبر الأقمار الصناعية في نهاية عام (١٩٩٥م) وتمشياً مع عصر التقدم الذي نعيش فيه " [٢] .

ومن الملاحظ أنه صدر في مصر قانون خاص بتحديد قطر طبق الاستقبال وكان الهدف الرئيسي من ذلك هو الحد من عدد القنوات الفضائية الوافدة التي

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٢)هبة أمين أحمد ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE " مرجع سابق ، ص٥٤.

يستقبلها المشاهد المصري ، ولكن مع تطور تكنولوجيا البث المباشر أصبح في إمكان هذا الطبق - قطره ٢٤٠سم-استقبال أكثر من ٣٠٠ قناة من الأقمار الأوروبية والأمريكية والأسيوية ... وغيرها .

أي أن بعض الدول العربية سمحت باستقبال القنوات الفضائية الوافدة عبر أقمار البث التلفزيونى المباشر وحتى الدول التي رفضت استقبال القنوات الفضائية ووضعت قيوداً فقد سمحت باقتناء الأطباق الهوائية مما أدى إلى تعرضها هى الأخرى لهيمنة وسيطرة الثقافات الوافدة " وأدى هذا كله إلى التدفق غير المتوازن للمنتجات الإعلامية من (أخبار ، أفلام ، برامج تليفزيونية) بالإضافة إلى تعديل الهياكل التنظيمية والقيم المهنية من الدول المتقدمة إلى العالم الثالث ، وكان هناك افتراض أساسى أن القيم الغربية والقيم الأمريكية كالاستهلاك والفردية والتي يتم التعبير عنها بشكل غير مباشر في مختلف الوسائل الإعلامية وبشكل مباشر من خلال الإعلانات ، قد تسود في البلاد النامية حينما يتلقى المشاهدون البرامج الأوربية والأمريكية " [١].

أما في دول الخليج العربي فإن الموقف من أقمار البث التليفزيوني المباشر يتسم بالتردد بين الموافقة والرفض فهناك دول انخفضت بها تكلفة الهوائيات لدرجة تشجيع الأفراد على امتلاك أجهزة الاستقبال الخاص بالبث التليفزيوني المباشر ففى "الرياض صدر قرار بمنع استخدام الهوائيات نهائيا وتعريض

(١) الفت حسن أغا ، " البث المباشر والهوية الثقافية تجربة من دول الآسيان " ،مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (٧٩) ، أبريل - يونيو ١٩٩٥م ، ص٢٨ .

مستخدمها لدفع غرامة مالية كبيرة ، وجاء في مسوغات القانون أن على أجهزة الإعلام الرسمية القيام بتلقى مختلف مواد البث من الخارج واختيار ما يصلح وما يتناسب مع تقاليد المملكة " [1] .

وعلى الرغم من صدور القانون الذي يمنع الاتجار في معدات استقبال برامج البث التليفزيوني المباشر إلا أن الأطباق تغطى أسطح معظم المنازل في كل أنحاء المملكة ، وخاصة في المدن الكبرى مثل الرياض وجدة ومكة وأبها والدمام .

وخلاصة القول أن الأمة العربية تواجه " تحدياً من البث المباشر مع أن البرامج الإعلامية التي ينقلها تدخل كل بيت لتغزوه ولا يستطيع أحد التحكم فيها ، ولا يفوتنا ما يقوم به الإعلام الغربى من تأثير على شعوب العالم أجمع وتشير دراسات اليونسكو بأن (٨٠ ٪) من البرامج والأخبار التي تعرض في وسائل الاتصال بالدول العربية منقولة من وسائل الإعلام الغربية " [2] ، وإن هذه الدول قد اقتنعت بأنه لا مفر من استخدام ما حققته التكنولوجيا من تقدم وخاصة في مجال البث التليفزيوني المباشر على الرغم من آثارها السلبية .

خامسا : واقع الفضائيات العربية :-

لقد استبشر المشاهد العربي خيراً عندما تسابقت الدول العربية على الحصول على مكان في الأقمار الصناعية لبث قنواتها الفضائية ، ولهذا فقد نالت

---

(١) هبة أمين أحمد ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE " مرجع سابق ، ص ص٥٥ -٥٦ .

(٢) عبد الوهاب عبد الواسع ، التحديات التى تواجه العالم الإسلامى ،القاهرة : دار الشعب ، ١٩٩١م ، ص٢٨ .

بعض القنوات مكاناً مميزاً لها في البيوت العربية ، نظراً لأن هذه القنوات جاءت للتعبير عن الذات العربية ولتأخذ مكانها على الساحة الإقليمية والدولية حتى لا تترك الفراغ للآخرين وبذلك دخلت هذه الدول عصر القنوات الفضائية العابرة للحدود والحواجز وكل ما يؤخذ على هذه القنوات أنها لا تؤسس على تخطيط واضح لملىء ساعات بثها .

"وإن من أهم النتائج التي حققتها هذه القنوات أن المواطن العربي أصبح بضغطة ذر ينتقل من دبى إلى دمشق إلى بيروت إلى تونس مروراً بالقاهرة ، وجاءت آمال المشاهد كبيرة وهو الذي كان يعانى من قلة المادة الإعلامية والثقافية الإبداعية العربية وبالمقابل كان يعانى يوميا من التدفق الإعلامى والثقافى الغربى الذي يقابله ويواجهه في كل وسيلة من وسائل الأعلام ، لكن سرعان ما تبددت أحلام المشاهد العربي في الفضاء الإعلامى العربي وأصبح يتساءل هل هذه الفضائيات جاءت نقمة لتكمل ما أبقاه الأعلام الغربى " [1].

أي أن الدول العربية أصبحت تمتلك قنوات فضائية عربية تبث إرسالها بواسطة أقمار البث التليفزيوني المباشر تابعة إما لسيطرة الحكومة وإما ملك أفراد أو هيئات معينة ،وهذه القنوات يختص بعضها بعرض برامج دينية وثقافية، أو يعرض مناقشات إخبارية حول الأحداث الجارية ، وبعضها يعرض أفلام

(١) محمد قيراط ، " الفضائيات العربية بحث عن الذات أم تقليد الآخر " ، جريدة البيان (الإماراتية) ، العدد (٣٣٤)، السنة السادسة ، ١٠أكتوبر ١٩٩٧م ، ص٢ .

ومسلسلات عربية وأجنبية وأغانى غربية مصورة بأحدث أساليب فن التصوير والإخراج مقلدة في ذلك برامج القنوات الفضائية الأجنبية .

فالمحلل لبرامج القنوات الفضائية العربية يجد "أن معظم القنوات الفضائية غلب على إنتاجها البرامجى الطابع الترفيهى المقلد لما ينتجه الغرب ، والأدل على ذلك انتشار الأغنيات التلفازية المنفذة بأسلوب ما يعرف "بالفيديو كليب " الذي تعد فيه المرأة قاسماً مشتركاً والأداة الرئيسية للجذب وهى بهذا المنظور الترويجى في منزلة أي سلعة استهلاكية تروج لها في التلفاز مما يحط من كرامتها ويحرمها حقوقها المكفولة في المنظور الإسلامى الذي بوأها منزلة كبيرة في المجتمع " [1] .

وأيضا معظم القنوات الفضائية العربية تعتمد على المرأة في عرض الإعلانات مستغلة جسدها العارى في الدعاية لبعض السلع ومعدة بأسلوب الإعلانات الأوربية والأمريكية وأيضا الأغانى المقلدة للغرب وبهذه الطريقة تفتقد هذه القنوات للبرامج العربية التي توضح الطابع العربي المميز للثقافة العربية الأصيلة .

" ومما يدعو للدهشة أن نسبة كبيرة من البرامج التي تقدمها الفضائيات العربية تحاول فيها تقليد الغرب إلا أن نسبة لا بأس بها منقولة تماماً من برامج

(١) زين بن عبد المحسن الحسين ، " بين بيع الوهم وتأصيل الفهم " ، مجلة الفيصل (السعودية) العدد (٢٥٦) ، فبراير ١٩٩٨م ،ص٦.

أجنبية وكأن قريحة الإبداع العربي قد تعطلت واكتفت بالاقتباس وهو لفظ مهذب للسرقة الإبداعية " [١] .

ولقد تحول البث التليفزيوني في معظم القنوات الفضائية العربية وغير الفضائية إلى مجرد دعاية مجانية وترويج ساذج لوجوه وتوجهات أقل ما يقال عنها أنها بعيدة كل البعد عن تطلعات واهتمامات الفرد العربي وقضاياه الحقيقة، وحاجاته الأساسية للوعى والمعرفة التي تؤهله وتعده لمواجهة التحديات ، وهذا يفرض على المسئولين عن القنوات الفضائية العربية الاهتمام بالبرامج الثقافية والدينية التي تساعد المشاهد العربي على التصدى لمواجهة الأخطار الناجمة عن البرامج الوافدة عبر القنوات الفضائية الأجنبية ، وأيضا البعد عن البرامج المستوردة والاتجاه إلى إنتاج البرامج العربية التي تعبر عن الفكر العربي .

ويشير بعض المهتمين إلى أن نسبة البرامج الترفيهية المستوردة في معظم القنوات الفضائية العربية تبلغ نحو (٨٨٪) من جملة البرامج المستوردة بينما لا تتجاوز نسبة البرامج الثقافية (١٢٪) ومع أن معظم هذه البرامج الترفيهية تحمل كثيراً من قيم المجتمعات المصنعة لها وهى في معظم الأحيان تناقض القيم الاجتماعية الأصلية لمجتمعنا إلا أنها تتسرب إلينا من خلال قنواتها التلفازية الفضائية " [٢] .

---

(١) سعيد السبكى ، " الفضائيات العربية تائهة بين الهدف والوسيلة " ، جريدة البيان (الإماراتية) العدد (٣٣٤) ، السنة السادسة ، الجمعة ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م ، ص٤ .

(٢) زيد بن عبد المحسن الحسين ، " بين بيع الوهم وتأصيل الفهم " ، مرجع سابق ، ص٦

ويرجع وجود الفضائيات العربية إلى رغبة العرب في " الوقوف أمام ما يسمى بالطوفان أو الغزو الفضائى الغربى ولكن التجربة والمشاهدة المتأنية ثبتت أن هذا الطرح لم يكن إلا لتحريك مشاعر الاستهلاك الداخلى وهى غير قادرة على تلبية احتياجات المشاهد المحلى ، فوجئنا بأن هناك غزواً فضائياً عربيًا "[1].

فعلى الرغم من أن الهدف الذي أنشأت من أجله الفضائيات العربية تمثل في التصدى للفضائيات الأجنبية وحتى لا تترك الساحة الفضائية فارغة أمامها ، وأيضا للتصدى للفكر الغربى من خلال محتوى البرامج العربية التي تبث على هذه الفضائيات ، إلا أن ضعف امتلاك الدول العربية للقدرة التكنولوجية والمعلومات التي تنتج بها البرامج المحلية لأنها مرتفعة التكاليف ، جعلها تتجه إلى الاستيراد أو التقليد وخاصة في البرامج الترفيهية التي هى في حد ذاتها تعامل عقل المشاهد العربي بنوع من التسطيح ، وأيضا تتجه إلى الإعلانات وخاصة التي تعتمد على الإثارة الجنسية مستغلة جسد المرأة مما يؤثر على المشاهد العربي ويهدد ثقافته العربية وأيضاً يهدد ترابط المجتمع وتماسكه

حقيقة " أن عدد القنوات الفضائية العربية ٢٣ قناة (ست عشرة قناة منها حكومية وسبع قنوات خاصة) بواقع قناة واحدة لكل من المغرب والجزائر وتونس والسودان واليمن وعمان وقطر والبحرين والكويت والأردن وسوريا ولبنان والـ MBC , ART , Orbit وقناتين لكل من مصر والسعودية وثلاث قنوات

(١) على قاسم ، " الغزو الفضائى الأجنبى مقولة عفى عليها الزمن " ، جريدة البيان (الإماراتية) العدد (٣٣٤) ، السنة السادسة ، الجمعة ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م ، ص٨ .

للإمارات (أبو ظبى والشارقة ودبى) ، (ثمانية قنوات أخرى مشفرة) تبث هذه المحطات ما يتراوح بين (٢٢٥ - ٢٥٠) ألف ساعة سنوياً " [١] ، إلا أن بعض هذه الفضائيات يغلب عليها الجانب الترفيهى ومعظمها يقلد البرامج الأجنبية وبعضها له طابع خاص لأنها ملك مؤسسات معينة أو تابعة للحكومة .

ومن المعتقد أن دخول الدول العربية مجال الفضائيات وهى غير مستعدة لذلك من حيث الإعداد لملء ساعات البث التي تغذى هذه الفضائيات ، أدى إلى اعتمادها على برامج القنوات المحلية أو البرامج الأجنبية ، وبهذه الطريقة تخدم أو تحقق الفضائيات العربية أهداف الفضائيات الأجنبية الوافدة بدون قصد لأنه لا توجد سياسة إعلامية عربية موحدة ، وإن وجدت توجد على الورق بدون تطبيق .

ويؤكد ما ذهبنا إليه " ضعف الإنتاج ، والتبعية الإخبارية ، والتبعية في البرامج المختلفة حيث أن هذا الضعف وهذه التبعية ناتجان لطبيعة الحال من عدم وضوح الرؤية وعدم وضع خطة إستراتيجية وعمل مشترك بين الدول العربية ، فإلى الآن يلاحظ أن الكثير من الدول العربية ليست متأكدة مما تريده من وسائل إعلامها أو من منظوماتها الإعلامية " [٢] .

أي أن نجاح الفضائيات الأجنبية في تحقيق أهدافها أو سياستها التي وضعت من أجلها في ضوء خطة معدة مسبقاً في شتى المجالات المختلفة المرتبطة بهذه الفضائيات تشاركها فيه الفضائيات العربية ، ومن ثم فقد جاء الواقع عكس

---

(١) أديب خضور ، مساهمة القنوات الفضائية العربية فى صد الغزو الثقافى الأجنبى ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٨م ، ص٢٤٧ .

(٢) محمد قيراط ، " الفضائيات العربية بحث عن الذات أم تقليد للآخر " ، مرجع سابق ، ص٢ .

المأمول حيث " انطلقت القنوات الفضائية العربية في مرحلة البث متجاوزة كل تلك التنظيرات من تزايد اختلال تدفق المعلومات ، بل أنها زادت من هذا الاختلاف الذي يصب في صالح دول الغرب ببدئها البث من غير أن تكون لها قاعدة إنتاجية تؤمن لها البرامج المناسبة التي تملأ ساعات البث المقررة التي زادت زيادة كبيرة عما كانت عليه في السابق مما اضطر معظم هذه القنوات إلى استيراد المزيد من البرامج الغربية مع تخفيف الضوابط والمعايير المعهود بها في الماضى الأمر الذي ترتب علية تسرب برامج وأفلام وتمثيليات تتناقض مع قيم المجتمع العربي لتكون في متناول الإنسان العربي من خلال قنواته التليفزيونية " (١) .

أي أنه على الرغم من دخول الدول العربية مجال القنوات الفضائية إلا أنها تفتقد إلى المنافسة مع القنوات الأجنبية التي تعتمد على التخطيط الجيد ، والإبهار التكنولوجى في بث برامجها ولهذا يلاحظ أن معظم المشاهدين يفضلون مشاهدة البرامج التليفزيونية الوافدة الأجنبية عن البرامج العربية ، ففى "دراسة استطلاعية في مدينة الرياض وجد أن (٧٣٪) من أفراد العينة يتابعون القنوات الفضائية الأجنبية يومياً ، ووجد أن البرامج الإخبارية تأتى في الدرجة الأولى من حيث المتابعة والأهمية وتأتى البرامج الثقافية في الدرجة الثانية ، ولعله من الأسباب التي دفعت العديد لمتابعة القنوات الفضائية الأجنبية هى طبيعة الخطاب العربي ذات الطابع السياسى منه " (٢) .

---

(١) زيد بن عبد المحسن الحسين ، "بين بيع الوهم وتأصيل الفهم " ، مرجع سابق ، ص٦ .
(٢) خليفة السويدى ، " نحو هوية واضحة للفضائيات العربية " ، جريدة البيان (الإماراتية) ، العدد (٣٣٤) ، السنة السادسة ، الجمعة ١٠ أكتوبر ، ١٩٩٧م ، ص٣ .

فالمحلل للخطاب العربي السياسى يلاحظ أنه يتسم بسمات وخصائص لا تجذب المشاهد أهمها :-

(١) السلطوية : فالخطاب العالمي العربي وبالذات السياسى يخضع في غالب الأمر للرغبة السياسية الحاكمة.

(٢) الأحادية : اعتاد العربي أن يسمع خبر واحد من مصدر واحد لا ينافسه أحد أو يخالطه وهذا الخبر غير قابل للرفض أو التحليل .

(٣) الرسمية : تخضع المؤسسات الإعلامية في العالم العربي للجهات الرسمية .

(٤) القدسية : فالرسالة الإعلامية العربية وبالذات السياسية غير قابلة للرفض[١].

ومن هذا المنطلق يفضل المشاهد العربي مشاهدة القنوات الفضائية الأجنبية لما لها من قدرة على إبهار وجذب المشاهد من خلال تنوع برامجها وطريقة عرضها للأحداث الجارية مما يؤثر على جمهور المشاهدين اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعقائدياً في ضوء الأهداف التي تسعى الدول المتقدمة إلى تحقيقها مستغلة سيطرتها على القنوات الفضائية الأجنبية ، وهذا بخلاف الفضائيات العربية التي "ضاعت بين الهدف والوسيلة ، فبعد مرور ما يقرب من عقدين من الزمان على انطلاق أوائل الفضائيات يرصد المواطن العربي الآن إنها انطلقت للتنافس على عقل وفكر العربي في المهجر بصورة مغرية أو فيها تقليد خطير للغرب وتتبارى في

(١)المرجع السابق، ص٣ .

الوقت نفسه لعمل دعاية تقليدية في حين أن معظم العرب في أوربا بالتحديد هربوا من أساليب البروباجندة (*) العارية " [1] .

ولا يقتصر الأمر على ما سبق ، بل أن الواقع يشير إلى أنه لا تزال هناك بعض أوجه القصور التي تعوق إحداث تعديل في الخطة العربية الإعلامية في مجال الأقمار الاتصالية بصفة عامة وأقمار البث التليفزيوني بصفة خاصة ، ويرجع هذا إلى الإمكانيات التكنولوجية والمادية ، وأدى هذا إلى ظهور بعض القصور في البرامج التي تبثها القنوات الفضائية العربية .

ويذكر سامح راشد[2] أهم أوجه القصور في الفضائيات العربية والتي كان من أهمها ما يلي:-

(١) أن بعض القنوات الفضائية تتمتع بحرية كبيرة وهامش تعبيرى متزايد إلا أن البعض الآخر لا يزال مجرد انعكاس للإعلام القطرى الرسمى ولا يفرق بين مخاطبة المشاهد العربي والمشاهد الخارجى .

(٢) استمرار الاعتماد العربي في تكنولوجيا أقمار الاتصال على استيراد هذه التكنولوجيا من الغرب.

(٣) أدى انتشار الهوائيات وأجهزة الاستقبال إلى حدوث انكشاف إعلامى في بعض الدول والمناطق التي فوجئت بفيض من المادة الإعلامية الغزيرة الوافدة من الخارج .

(*) البروباجندة : الدعاية .

(١) سعيد السبكى ، " الفضائيات العربية تائهة بين الهدف والوسيلة " ، مرجع سابق ، ص٤ .

(٢) سامح راشد ، " الأقمار الصناعية ومسيرة الإعلام العربى " ، جريدة البيان (الإماراتية) ، العدد (٣٢٣) ، السنة السادسة ، الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٩٧م ، ص١١ .

ولقد تعددت مسببات هذا القصور بعضها يغلب عليه الطابع الموضوعى والبعض الآخر يغلب عليه الطابع الذاتى ، أي أن أهم الأسباب التي تحول دون نجاح الفضائيات العربية في الوصول إلى أهدافها تتمثل في الآتى :-

[أ] الأسباب الموضوعية :-

(١) إن التطور المذهل الذي تشهده وسائل الإعلام الغربية بما في ذلك القنوات التليفزيونية الفضائية يعود في حقيقته وجوهره إلى التفوق التكنولوجى الغربى في شتى المجالات المختلفة .

(٢) إن القدرة الاقتصادية والتكنولوجية توفر للإعلام الغربى وضعاً تنافسياً متقدماً بالقياس مع الإعلام العربي المتواضع

(٣) يمتلك الإعلام الغربى المقدرة الفعالة على الوصول إلى مصادر المعلومات ومعالجتها وتوجيهها بأكثر الطرق ذكاء وقوة وإقناعاً [١].

مثل هذه الأسباب تجعل الدول المتقدمة هى التي تسيطر على مجريات الأمور نظراً لامتلاكها القدرة التكنولوجية العالية ، والإمكانيات المادية التي تساعدها على فرض سيطرتها الإعلامية على دول العالم الثالث ، كما أنها هى التي تتحكم في المعلومات وفى مواد التقنية التكنولوجية الخاصة بوسائل الاتصال والدليل على ذلك أن القمر الصناعى العربي والقمر الصناعى المصري صمم وأطلق إلى الفضاء تحت إشراف خبراء غربيين .

---

(١) عمران سلمان ،"الأعلام الفضائى العربى بين الطموح والمنافسة وإحباط الواقع"، جريدة البيان (الإماراتية)، العدد(٣٣٤)، السنة السادسة ، الجمعة ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م، ص١٠ .

[ب] الأسباب الذاتية :-

(١) عدم وجود سياسة عامة أو فلسفة أو نهج تنطلق على أساسه الفضائيات العربية .

(٢) غياب الخط الفكرى والثقافى الذي يميز الفضائيات العربية .

(٣) ابتعاد الفضائيات العربية عن طرح ومناقشة ومعالجة القضايا المحلية والداخلية التي تهتم بالمواطن العربي [١].

(٤) تشابه "الفضائيات العربية فيما بينها في بعض الأوجه ، فتتشابه في مواد الدراما من أفلام ومسلسلات ، وتتشابه في البرامج رغم شكل المذيعة المختلف ولهجتها المختلفة وأسماء البرامج المختلفة ، واقتباس الأفكار جزء منها أو معظمها إذ لم يكن كلها من البرامج الأجنبية " [٢] .

وهكذا فإن الفضائيات العربية لم تحقق الهدف الذي أنشئت من أجله ألا وهو التصدى للفضائيات الأجنبية داخل الدول العربية ، نظراً لعدم وجود إستراتيجية إعلامية عربية موحدة بين الفضائيات العربية ، والاعتماد على استيراد البرامج أو تقليد البرامج الأجنبية ، وهذا يقتضى ضرورة الاعتماد على القدرات والكوادر العربية في إعداد البرامج العربية التي تعبر عن الثقافة العربية ، وتخدم قضايا الأمة العربية في شتى المجالات المختلفة سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم تعليمية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) فريد زهران ، " ضرورات وأهداف التنسيق بين الفضائيات العربية " ، جريدة البيان (الإماراتية) ، العدد (٣٣٤) ، السنة السادسة ، الجمعة ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م ، ص٩ .

ويرى البعض أن الفضائيات العربية أصبحت " أشد خطراً على الجيل من القنوات الأجنبية من حيث هجومها الصارخ على القيم والعادات العربية والإسلامية لأنها تعرض وتنقل صراعات الانحراف الخلقى الغربى إلى العالم العربي بلسان عربى وأيضا تساهم بعض هذه القنوات في هدم اللغة العربية باستخدامها اللهجات المحلية السائدة في مجتمعاتها " (١) .

كما يزداد العبء على المواطن العربي في كم البرامج التي يتعرض لها وهى تحمل بين طياتها عادات وقيم وأنماط استهلاكية أجنبية تختلف عن القيم والعادات العربية وبذلك تساهم بعض الفضائيات الناطقة بالعربية بدور في الغزو الثقافي وأيضاً استمرار التبعية الإعلامية للدول الصناعية المتقدمة .

ويؤكد هذا ما ذهبت إليه بعض الدراسات وبخاصة الدراسات التي أعدها اتحاد إذاعات الدول العربية وأقسامه المتخصصة بالبحوث في مجال المستمعين والمشاهدين حيث "أثبتت أكثر من مره أن نسبة تفوق (٩٠٪) من البرامج الأجنبية التي تعرض عبر الفضائيات العربية برامج مليئة بصور من العنف والإدمان للمخدرات والشذوذ الجنسى وطمس المعالم التاريخية وتفسير التطورات المجتمعية كما يريد لها منتجوها والتي ينظر إليها من منظار تقنى مادى صرف بما يجعلها برامج تتضمن ضمناً وصراحة قيماً وسلوكيات متناقضة تماماً مع ما هو سائد من قيم عربية تساهم بشكل خطير في تكوين الشباب العربي " (٢) .

---

(١) خليفة السويدى ، " نحو هوية واضحه للفضائيات العربية " ، مرجع سابق ، ص٣ .
(٢) محمد طلال ،"الثقافة الموجهة للأطفال والشباب فى القنوات الفضائية العربية"، المجلة العربية للثقافة (التونسية)، العدد (٣٣) ، السنة السادسة عشرة ، سبتمبر ١٩٩٧م ، ص١١٧ .

كما يؤكد ما سبقت الإشارة إليه "أن الدول العربية تقبل دائما على التكنولوجيا بدون تحضير الأرضية اللازمة والضرورية لهذه التكنولوجيا ، وهكذا أصبحت معظم القنوات الفضائية عبارة عن صناديق للبريد تستقبل منتجات الصناعات الثقافية العالمية وتوزيعها ، ومع تطورات البث الفضائى تتسابق هذه القنوات لتبرز عضلاتها على أنها تواكب التطور التكنولوجى الحديث ، وهكذا اتجهت معظم الدول العربية نحو البث الفضائى دون تخطيط ودراسة وبدون تفكير في طريقة البث (٢٤) ساعة ، وهكذا سيطرة فكرة سد الفراغ والأفكار التجارية على الفضائيات العربية " [١] .

ويفرض ما سبق على المسئولين عن القنوات الفضائية العربية سرعة التعاون في الإنتاج العربي المشترك للبرامج الفضائية العربية التي توضح الثقافة العربية بكل ما تحمله من قيم وأفكار وعادات تجبر المشاهد على احترامها ، والتحلى بها سواء أكان عربياً أم غير عربى ، وأن يعاد النظر في خطط وأهداف هذه الفضائيات حتى يمكن تحقيقها في الواقع وأن تسعى إلى مواجهة الفكر الغربى الهدام المقصود به المشاهد العربي .

سادسا : موقف مصر من البث التليفزيوني المباشر :-

تضمنت خطة مصر لمواكبة التطور الهائل في مجال الاتصال وعدم عزل شعبها عن بقية شعوب العالم ، الموافقة لأفراد المجتمع المصري باقتناء الأطباق

(١) محمد قيراط ، " الفضائيات العربية بحث عن الذات أم تقليد للآخر " ، مرجع سابق ، ص٢ .

الخاصة باستقبال البث التليفزيوني المباشر وأصبحت ترفرف فوق أعالى المبانى سواء في المدينة أم في القرية .

فلقد أعلن المهندس " فتحى البيومى " الرئيس العام لاتحاد الإذاعة والتليفزيون سنة (١٩٩١م) عن صدور اللائحة التنفيذية لحيازة أطباق استقبال القنوات الفضائية ، وأضاف أن الراغبين في حيازة هذه الأطباق عليهم التقدم للحصول على التصريح الخاص بها ، ولكن لا يزيد قطر الهوائى عن (٢٤٠سم) ، أما بالنسبة للهيئات السياسية والاقتصادية والسفارات والقنصليات فتم تحديد قطرها بثلاثة أمتار ، ويصرح للشركات باستيراد وتصنيع الأطباق الهوائية ، ويمكن لمن يقتنيها استقبال إرسال كافة الشبكات والأقمار الصناعية التي تقع مصر داخل نطاق إشعاعها [١] .

ومن الحقائق المؤكدة أن مصر بحكم موقعها الجغرافى تقع في نطاق إشعاع أقمار البث التليفزيوني المباشر وأهمها الأوروبى والأمريكى والآسيوى ، وتستقبل قنواتها الفضائية الوافدة بواسطة أطباق استقبال ذات قطر محدد لا يختلف عن القطر الذي حدده القانون الخاص بذلك .

ولقد ترتب على ذلك زيادة تركيب "أجهزة الاستقبال للبث المباشر والتي يسمونها (الدش) وأصبحت ظاهرة ملفتة للنظر ومحيرة في الوقت نفسه ، بل أصبحت دليلاً على ثراء القوم وتضخم ثرواتهم ، والبعض يعتبر هذا الجهاز ضرورة

---

(١) هبه أمين أحمد ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

أساسية في البيت وتعالت الأصوات في الندوات والمؤتمرات تحذر هنا وهناك من تدمير الهوية الإسلامية العربية " [1] .

وعلى الرغم من أن فلسفة تحديد قطر الهوائى بما لا يتعدى (٢٤٠سم) كانت تستهدف التحكم في استقبال البث المباشر لبعض القنوات ومن ثم تقليل عدد القنوات التي يستقبلها المشاهد المصري ، إلا أن مع تطور تكنولوجيا أقمار البث التليفزيوني المباشر وزيادة عدد القنوات المحملة عليها واعتمادها على نظام (التضاغط الرقمى) ، أدى إلى الفشل في تحقيق هذا الهدف ، وهذا بدوره أدى إلى زيادة عدد القنوات الفضائية الوافدة التي يستطيع المشاهد المصري استقبالها باستخدام الهوائى المحدد قطره تصل إلى حوالى (٣٠٠) قناة أو أكثر ، أي أن هذا التحديد أصبح لا جدوى منه أمام التطور الهائل في تكنولوجيا نظام البث التليفزيوني المباشر ، ومما زاد من الأمر صعوبة زيادة إقبال أفراد المجتمع المصري على شراء أطباق استقبال القنوات الفضائية الأجنبية والعربية ، كما " أصبح استخدام أطباق الاستقبال الفضائية جزءاً من الممارسات اليومية للمواطن المصري ، وتعددت القنوات والشبكات الدولية وأصبح أمام المواطن المصري فرصة كبيرة لمشاهدة هذه القنوات التليفزيونية الفضائية الوافدة دون تدخل أو رقابة من جانب الحكومة " [2]

---

(١) عبد الله بن عبد المحسن التركى ،"إيذز العصر البث المباشر"، مجلة منار الإسلام (الإماراتية) العدد الحادى عشر ، السنة التاسعة عشرة ، إبريل ١٩٩٤م ، ص٦٦ .

(٢) سوزان القلينى ، " القمر الصناعى المصرى ضرورة إعلامية " ، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (٩١) ، إبريل -يونيو ١٩٩٨م ، ص٥٤ .

فلقد بينت بعض الدراسات التي أجريت في مصر على اقتناء أفراد المجتمع المصري للأطباق الهوائية " أن عدد الهوائيات تزداد يوميا بعد يوم ، حيث إن عدد الهوائيات التي اشتراها سكان القاهرة قبل وخلال شهر رمضان سنة ١٤١٦هـ (٢٠ألف) هوائى تكلفت أربعة ملايين جنيهاً مصرياً بالرغم من إقبال المشاهد على متابعة برامج ومسلسلات رمضان إلا أن الإقبال على شراء الهوائيات استمر في الأحياء الشعبية من أثرياء أهلها ومنها حدائق القبة والهرم وعابدين ، بينما احتفظت الزمالك والمهندسين وجاردن سيتى بالمقدمة " [١] .

على الرغم من دخول مصر عصر الأقمار الصناعية ، إلا أن مؤشرات الواقع تؤكد زيادة إقبال جمهور المشاهدين على الشراء خلال هذه الفترة بسبب انتشارها السريع ، وتعدد أنواعها ، وتعدد الشركات المستوردة والمصنعة لها ، وانخفاض سعرها بصورة أصبحت في متناول الفرد العادى ، والقيام بطرحها في الأسواق المصرية بالتقسيط وبدون مقدم وقسط شهرى بسيط مما ساهم في إقبال أعداد كبيرة من أفراد المجتمع المصري على شرائها ، ومن ثم فقد أصبحت مصر كسائر الدول النامية عديمة "الحيلة أمام تلك القوى التي تمتلك المعدات والشبكات وأساليب الدعايات العديدة ، حيث فتحت أبواب الدول النامية على مصراعيها أمام إرسال تليفزيونى مباشر ترى كل دولة كبرى على أنه يستهدف تقديم الفكر والثقافة ،

(١) هبه أمين أحمد ، " استخدامات الجمهور للشبكة الأخبارية المصرية CNE " ، مرجع سابق ، ص٧٢ .

ويستهدف الإعلام بلا تحيز ، ويستهدف دعم التفاهم بين الشعوب ، لكن الهدف في حقيقته سوف يكون شريفاً على الورق أما في الفضاء فسيكون بلا ضمير" [١] .

ولقد ترتب على انتشار الأطباق الهوائية بين عدد كبير من أفراد المجتمع المصري ، ونتيجة لأن مصر تعد من الدول التي تتعرض لغزو ثقافي وإعلامى بواسطة البرامج الوافدة عبر أقمار البث التليفزيوني المباشر وبالتالى زيادة تأثير هذه البرامج على قطاع عريض من جمهور المشاهدين ، لذا حقيقة أن الخبراء والمتخصصين اختلفوا حول مزايا وسلبيات أطباق استقبال القنوات الفضائية الوافدة على شاشة التليفزيون المصري وتأثيرها على جمهور المشاهدين داخل المجتمع المصري ، إلا أنهم أجمعوا على ضرورة قيام وسائط التربية بدور انتقائى في ضوء المعايير والتقاليد الاجتماعية السائدة .

فالمحلل لآراء الخبراء والمتخصصين يجد أن فريق منهم "يؤكد على ضرورة التعايش مع هذه التكنولوجيا ، خاصة وأن الحل فردى ، حيث يتصرف كل مشاهد في بيته بشكل شخصى بمسئوليته الكاملة ودون إلقاءها على الآخرين ، ونادى هذا الفريق بضرورة الانفتاح على الثقافات الأخرى التي تبث البرامج وليس كلها شركات تجارية هدفها مربح بقدر ما هى هيئات حكومية وعامة شبه رسمية ، ويقتصر الخوف من المضمون الأجنبى الذي يتنافى مع تقاليدنا على قنوات محددة كما يصل إلينا هذا المضمون الأجنبى من خلال المحطات العربية وفى النهاية يمكننا التحصن بشخصيتنا العربية ومقوماتها الدينية الراسخة " [٢] .

---

(١) محمد عبده يمانى ، أقمار الفضاء غزو جديد سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية ، الرياض : جهاز تليفزيون الخليج ، ١٩٨٤م،ص٢٧.

(٢) هبه أمين أحمد شاهين ، " استخدامات الجمهور فى مصر للشبكة الأخبارية المصرية CNE ، مرجع سابق ، ص٧١ .

وهذا الفريق يؤكد ضرورة التكيف والاستسلام للبث المباشر ، وضرورة الانفتاح على الثقافات العالمية ، ويرى أنه في الإمكان التحسن بالتقاليد الراسخة ضد أي مضمون أجنبى يتنافى مع هذه التقاليد .

ويرى بعض الإعلاميين " أن البث الوافد أو الغازى على أي حال لا يمكن صده ... كل ما يمكن أن نفعله وما يجب أن نفعله هو أن نبارزه ، الحل إذن في تطوير الإنتاج التليفزيوني في بلدانا وجعله أكثر تنوعا وجاذبية ، الحل في أن يعكس التليفزيون العربي كل الآراء وكل الأذواق ، الحل في أن تكون البرامج أكثر ثراء وأعمق مضمونا وأسرع حركة ، الحل في أن يصل الإرسال الوطنى كل بقعة مهما كانت نائية أو منعزلة ، الحل في أن يزداد عدد القنوات الوطنية حكومة وأهلية ، الحل في عقليات متفتحة ونظم إدارية مرنة ، الحل في الجسارة الفنية والإبداع الفكرى وليس في الأوامر والنواهى التي يصدرها أهل الثقة لا أصحاب الخبرة " [1] .

وهذا الرأي يشير إلى أن مقاومة البث أمراً مستحيلاً ، وإن الحل لا يمكن في الوعظ والأوامر والنواهى بل في التفوق الإعلامى الوطنى عند المقارنة بالبث الوافد .

ويتضح من ذلك "أنه لابد من استبعاد فكرة إمكان إقامة حواجز تحول دون وصول الإرسال الفضائى الأجنبى ، وذلك بالنظر إلى استحالة تنفيذها من الناحية التكنولوجية وتكلفته العالية جداً ، كما أنه منع استيراد أو تصنيع الهوائيات اللازمة لاستقبال الإرسال الفضائى فكرة غير عملية على المدى البعيد وتتعارض مع

(١) حمدى قنديل ، " البث التليفزيونى المباشر غزو ثقافى ولكن .. ! " ،مرجع سابق ، ص٨٧ .

الحقوق الإنسانية وتبقى فكرة لا بديل عنها لمواجهة هذا الموقف وهى استقبال الإرسال الفضائى وتحصين المواطنين بالقيم الدينية المستمدة من تراثنا الدينى " [1].

ويكشف هذا الرأي عن أن عملية منع وتحريم اقتناء أطباق الاستقبال الخاصة بالبث التليفزيوني المباشر أصبحت غير مجدية مع تطور تكنولوجيا أقمار البث المباشر وإنها تتنافى مع حقوق الإنسان ، ولكن لا سبيل لنا إلا بالتصدى لمواجهة الآثار الناجمة عن هذا البث عن طريق تعاون كل المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية بصورة تؤهلها لتحصين أفراد المجتمع المصري لمواجهة هذا الخطر الوافد .

خلاصة القول ، أن مصر والدول العربية لا تستطيع الانغلاق على نفسها باعتباره أمر واقعى وضرورى لكثرة الأقمار الصناعية التي تقع في نطاق إشعاعها ، ويتنافى الانغلاق مع حقوق الإنسان ، ومن ثم فإن الحل يكمن في منظومة تربوية تساهم فيها كل مؤسسات التربية سواء أكانت رسمية أم غير رسمية تقوى من عزيمة أفراد المجتمع المصري في التصدى للبث وآثاره المدمرة .

سابعاً : أخطار أقمار البث التليفزيوني المباشر :-

ترتب على تطور تكنولوجيا الأقمار الصناعية الخاصة بالبث التليفزيوني المباشر وسيطرة الدول المتقدمة عليها زيادة الخطر على الدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة بما تحمله هذه الفضائيات من برامج وافدة مخطط لها لخدمة

---

(١) سعد لبيب ، " مصرية التليفزيون المصرى هى الحل فى عصر أقمار البث المباشر " ، مرجع سابق ، ص٢٨ .

أهداف الدول المتقدمة ، ومذاعة باستخدام تقنية عالية ولها قدرة على جذب المشاهد وبذلك يزداد التأثير السلبى على مواطنى الدول العربية ، ويتمثل هذا التأثير السلبى في الأخطار التالية :-

[١] زيادة الهوة ، واللاعدالة ، مع التشويه في تدفق المعلومات :

وتتدفق المعلومات والأخبار عبر وسائل الإعلام من طرف واحد من دول الشمال المتقدمة المهيمنة على وسائل الإعلام والاتصال العالمي إلى الجنوب ومن المتقدم إلى النامى ، والخطر يشتد عندما تتعرض الدول العربية لقنوات فضائية موجهة (١٠٠٪) لخدمة دول العالم الكبرى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ويزداد الأمر خطورة أكثر في حالة عدم إعداد العدة لمواجهة هذا السيل المتدفق عبر وسائل الإعلام التي تعمل على تدمير القيم العربية [١] .

فالدول المتقدمة تقوم بدور كبير في تشويه المعلومات التي تبثها من خلال القنوات الفضائية الأجنبية ، حيث يقوم الغرب بتحديد "أخبار العالم وتحريفها واستبعاد قيم العالم الثالث -غير الغربية منها- وهذا يعنى بأنه يتم فرض قيم الغرب ويتم عرض صور التطور الثقافي لدول العالم الثالث من خلال عيون الغرب واختياراتهم " [٢] ، كما يركز على الأنباء التي تخدم مصالحه السياسية والاقتصادية وتهتم بالأخبار التي توضح الصراعات والانقلابات العسكرية والتدهور الاقتصادى

---

(١) محمد منير سعد الدين ،سلسلة فى الكتاب التربوى الإعلامى دراسات فى التربية الإعلامية،بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥م،ص١٩٧.

(٢) صالح أبو إصبع ، " الهيمنة الثقافية وحقوق الاتصال فى إفريقيا فى عصر الإعلام الإلكترونى" ، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) ، العدد (٨٧) ، إبريل - يونيو ١٩٩٧م ، ص٦٥ .

وغيرها من الأمور السلبية التي تتم داخل الدول النامية وهذا يؤثر عليها داخلياً وخارجياً .

فالمحلل لبرامج البث المباشر عبر القنوات الفضائية يلاحظ بوضوح إن الدول المتقدمة تسعى جادة لإحداث عدم التوازن في تدفق المعلومات وبذلك تضمن أن يكون لها السيطرة والتحكم في المعلومات التي تبثها للدول النامية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة ، والتي تخدم مصالحها الثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية على حساب هذه الدول المغلوبة على أمرها .

ويؤكد ما ذهب إليها العديد من الباحثين والخبراء ، فلقد " أجريت دراسات إمبريقية عديدة ووجدت هذه الدراسات بعض الدلائل العلمية التي كشفت عن وجود تدفق غير متساوى للمواد الإعلامية والأخبار والأفلام والبرامج التليفزيونية كما وجدت الدراسات دلائل إمبريقية تثبت تصدر الدول المتقدمة للأشكال التنظيمية الإعلامية " [١] .

وتذكر " عواطف عبد الرحمن " إنه قد ترتب على سيادة نظرية التدفق الحر مجموعة من النتائج السلبية بالنسبة لدول العالم الثالث ، أهمها تحريف المضامين الإعلامية ، والقصور في تغطيتها لأحداث العالم الثالث ، وتشويه هذه الأحداث أو تحريفها [٢] وبهذا فقد أصبح التليفزيون العربي الناقل للبرامج الوافدة أشد خطراً وأكثر تأثيراً من أساليب الاتصال الأخرى ، وذلك نتيجة للتفوق الثقافي الغربى الذي يخشى منه على الثقافة المحلية [٣] .

---

(١) عثمان بن محمد الأخضر العربى، " النظريات الإعلامية المعيارية " ، مرجع سابق ، ص٨٤.

(٢) عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية الثقافية فى العالم الثالث ، مرجع سابق ، ص ص ٧٩-٨٠ .

(٣) عبد الفتاح إبراهيم عبد النبى ، تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٥-١٤٦ .

كما يلاحظ أن زيادة الهوة واللاعدالة وتشويه المعلومات يظهر بوضوح في استمرار سيطرة الإعلام الغربى حتى على الدول التي امتلكت تقنيات الإعلام وأصبح لديها أقمار تبث من خلالها ما ترغب في الإعلام عنه ، مثل هذه الدول اعتمدت في إعلامها " اعتماداً كاملاً على وكالات الأنباء العالمية والمجالات العالمية للحصول على الأنباء الخارجية ، وانتهجت نفس الأسلوب باعتمادهم بصفة أساسية على المصادر الحكومية للحصول على الأنباء المحلية وبذلك يتأكد الشكل المركب بالتبعية الإعلامية على المستوى المحلى والعالمى ومما يساعد على ذلك ضعف المواد الأساسية للاتصال وعدم كفاية الكوادر الإعلامية " [١] .

ومن ثم فإنه في الوقت الذي تعانى فيه دول العالم الثالث من ضعف البنية الأساسية لوسائل الاتصال فإنها تواجه في الوقت نفسه بفيض من المعدات الاتصالية المتطورة جداً في المجتمعات المتقدمة بالشكل الذي يهدد سيادة الدول النامية على فضائها الوطنى بأقمار الاتصال الصناعية التي أصبحت تغطى كافة أجواء الدول النامية وقد أصبحت أجهزة التليفزيون في دول العالم الثالث مغطاة بالكامل بالإرسال التليفزيوني القادم من الدولة المتقدمة [٢] .

أي أن القنوات الفضائية العربية تأثرت بالنمط الأوروبى والأمريكى السائد في نقل الأحداث الجارية والأخبار، والذى يتم التركيز فيه على الأحدث التي توضح

---

(١) ماجدة محمد عبد الهادى مخلوف ، " التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث ومواجهتها " ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٢) فاروق أبو زيد ، انهيار النظام الإعلامى الدولى من الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد ، مرجع سابق ، ص ص ١٧١-١٧٢ .

مشاهد الموت والمآسى البشرية ، فعلى سبيل المثال عرض الحرب اللبنانية بمنظار التليفزيون العالمي لم يأت من باب الاهتمام بهذه البلد بقدر ما يهدف إلى التشهير، وبدأت معالم الإعلام العربي واضحة على القنوات الفضائية العربية مما يكرس زيادة التبعية الإعلامية .

[٢] تبديل الثقافة العربية بالثقافة الأوربية والأمريكية :

تسعى الدول المتقدمة من خلال امتلاكها لأقمار البث التليفزيوني المباشر إلى استبدال القيم العربية بقيم غربية وأمريكية تؤثر على كيان المجتمع وترابطه الأسرى وعلى الأنماط الثقافية العربية الأصيلة المستمدة من العقيدة الدينية .

"وتواجه جماهير الشعب العربي أجهزة تبث بشكل جذاب ومدروس وهادف ، ومزودة بتقنية عالية ومتفوقة ، فيها قوة الإغراء ما يجعلها تؤثر في عقل المشاهد وتدفعه إلى التقليد ، إنها تجعل شبابنا ينبهرون بحضارة الغرب وأنها تريحهم كما يصور لهم ، ففيها من وسائل الذوق والرقة والجمال ، إلى جانب وسائل القوة والدمار ، فيتشكل لدى هؤلاء الشباب نظرة دونيه لحضارتهم العربية وانبهار بالحضارة الغربية " [١] .

ولقد تغلغلت مظاهر الثقافة الأوربية والأمريكية في حياتنا اليومية ، وظهرت ثقافة الجينز وهوليود والهامبرجر وثقافة البوب والروك والكوكاكولا وكل هذا من آثار الهجمة الفضائية الأمريكية الأوروبية التي استغلت سيطرتها على

---

(١) محمد منير سعد الدين ، سلسلة فى الكتاب التربوى الإعلامى دراسات فى التربية الإعلامية ، مرجع سابق ، ص ص ١٩٧-١٩٨ .

أقمار البث التليفزيوني المباشر في بث برامج فضائية وافدة تنقل لنا الأنماط الثقافية الأوربية والأمريكية التي أصبح شبابنا يقلدها إلى حد كبير تحت شعار التحضر والتمدن ، والتي يكمن الخطر فيها " في برمجة الأدمغة وتدمير البنية التحتية للمفاهيم السائدة في مجتمعنا وتوجيه شبابنا وشاباتنا نحو الموضة ، وتقليد الغرب بسلبياته وجنسه الرخيص ، ويقولبونهم بأشكال تجعلهم أسرى الحضارة الغربية ، توجههم أقنية تليفزيونية فضائية من على بعد آلاف بل عشرات آلاف الكيلومترات" [١] .

ويمكن إجمال الآثار السلبية المترتبة على إحلال الثقافة الأوربية والأمريكية محل الثقافة العربية في الآتى :-

[أ] انعدام الروادع الداخلية بحيث إن الإنسان الذي تمتلكه حمى الرفاه وتسقط بشكل مقصود القيمة الأخلاقية المعمول بها في مجتمعه من أجل الرفاهية وهذا ما يخلق ما يسميه هيجل (الشعور الشقى) أو(الوجدان الشقى) أي انقسام الإنسان على ذاته بين قيمه الأخلاقية القديمة وقيم الرفاهية التي فرضها عليه المجتمع الاستهلاكى .

[ب] الاستعاضة عن الأصالة بالمحاكاة إذ أن الغزو الثقافي يفرض على الإنسان المتخلف نموذجاً لا علاقة له به فهو مضطر لتقليد الآخر[٢] ، حيث ترتب على

---

(١) محمد منير سعد الدين ، سلسلة فى الكتاب التربوى الإعلامى دراسات فى التربية الإعلامية ، مرجع سابق ، ص١٩٨ .

(٢) أنطوان المقديسى، " التحديث والتعريب فى مواجهة الغزو الثقافى " ، مجلة الوحدة (المغربية)، العدد (٣) ، السنة الأولى ، ديسمبر ١٩٨٤ م ، ص٨ .

الغزو الثقافي خلق صورة مشوهة عن العالم الخارجى بما يخدم الغرب ومما يؤدى إلى تحريفات في تصور المرء لواقعة وهذا يؤدى إلى تمثل الأشخاص بالصور التي فرضت عليهم وقبولها وكأنها واقعهم أو نماذجهم التي يجب أن تحتذى .

[جـ] التأثير على الثقافة التقليدية ويظهر هذا بوضوح بتأثيره على الفلكلور وانحدار الفنون التقليدية واختفاء بعض أشكالها ولعل التأثير على الأغانى والموسيقى الشعبية مثال واضح للجميع .

[د] تقدم البرامج الغربية قيما تعكس ثقافات مجتمعاتها مما يؤثر في تشكيل القيم العربية السائدة ويعمل على تغييرها ، وذلك نتيجة للتأثير الفورى والمحسوس للمضامين الإعلامية الغربية(١).

[هـ] التأثير على الروح المعنوية للأفراد والجماعات نتيجة تزايد اعتماد وسائل الإعلام في دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية على الإنتاج الإعلامى الأجنبى والذى من شأنه أن يخلق رأياً عاماً منحازاً للمصالح غير الوطنية ، كذلك فإن استمرار سيطرة وكالات الأنباء الأجنبية من شأنه أن يستمر في رسم الصورة المشوهة لشعوب العالم الثالث ، كما أن تزايد نفوذ وكالات الإعلان الدولية على أسواق الإعلان في الدول النامية كاد أن يفقد وسائل الإعلام في هذه الدول استقلالها الفكرى (٢) .

---

(١) محى الدين صبحى ، " جدلية الذات والمصير فى جذور امتدادات ندوة الغزو الثقافى الإمبريالى الصهيونى للأمة العربية " ، مرجع سابق ، ص ص ٥٠-٥١ .

(٢) فاروق أبو زيد ، انهيار النظام الإعلامى الدولى من الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد ، مرجع سابق ، ص ص ١٧١-١٧٢ .

[٢] التسطيح الفكرى :

أن الغزو الفضائى المباشر عملية غالية الثمن ، وهى بالنسبة للغرب وأمريكا هادفة ، لأجل نشر ثقافتهم وعاداتهم وقيمهم بين الشعوب ، لأجل استحواذهم على عقل وقلب ملايين المشاهدين في أصقاع الأرض ، فإن برامجهم وأفلامهم ومسلسلاتهم ، سوف تعتمد مادتها على مبدأ شد الانتباه من خلال البريق والانبهار الإعلامى الخالى من أي مضمون حقيقى ، وهو رسائل إعلامية مسطحة تولد لدى المشاهد بدوام المشاهدة نوعاً من الإدمان عليها وعلى كل مسطح من الثقافة ، ثم هو شيئاً فشيئاً يعزف عن متابعة كل جاد هادف من البرامج وكل ذى مضمون مما تبثه محطة التليفزيون المحلية [١] .

ويساهم البث الفضائى من خلال أقمار البث التليفزيوني المباشر في تسطيح الفكر داخل المجتمعات النامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة ، لما تبثه بعض القنوات الفضائية الوافدة من أفلام ومسلسلات جنسية وإعلانات تعتمد على الإثارة والمرأة في عملية التسويق دون مراعاة للقيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة داخل المجتمعات النامية والعربية ، وهذا بدوره يؤدى إلى الاعتقاد بأن الحياة هى ما يعرض من خلال هذا البث المباشر ، وهذا في حد ذاته تسطحاً فكرياً .

(١) محمد منير سعد الدين ، سلسلة فى الكتاب التربوى الإعلامى دراسات فى التربية الإعلامية ، مرجع سابق ، ص٢٠٠ .

فلقد ترتب على السعى الدائب من جانب الدول الغربية وأمريكا وإسرائيل من أجل تحقيق أهداف غزوها الثقافي للدول العربية ، واستمرار الدول العربية خاضعة لسيطرتها ، مواجهة جماهير الشعب العربي لأجهزة " تبث بشكل جذاب ومدروس وهادف ومزودة بتقنية عالية ومتفوقة في فن قوة الإغراء مما يجعلها تؤثر في عقل المشاهد وتدفعه إلى التقليد وأنها تجعل شبابنا ينبهرون بحضارة الغرب وأنها تريحهم كما يتصور لهم فيها من وسائل الذوق والرقة والجمال إلى جانب وسائل القوة والدراما فيشكل لدى هؤلاء الشباب نظرة دونية لحضارتهم العربية وانبهار بالحضارة الغربية " [1] .

المحلل لما تبثه وسائل الإعلام يجد أنه تسعى جاهدة من أجل تحقيق أهداف الغزو الثقافي المخطط له والمدروس من الدول المتقدمة ، وقد ساعدها في ذلك التطور الهائل في أقمار البث التليفزيوني المباشر ، ومن خلال البرامج المبهرة التي تستطيع أن تجذب وتؤثر في الفرد المشاهد .

[٤] التاثير المنفر في الميادين الاقتصادية والاجتماعية :-

تستغل الدول المتقدمة سيطرتها على امتلاك أقمار البث التليفزيوني المباشر في فتح أسواق جديدة أمام منتجات الشركات العالمية الكبرى داخل البلاد النامية والعربية ، حيث تعمل القنوات الفضائية الوافدة على الترويج للسلع المستوردة بأسلوب يعتمد على الإبهار وجذب المشاهد وتستغل ذلك في الترويج للقيمالأوربية والأمريكية داخل مجتمعات البلاد النامية ، ويؤدى هذا إلى التأثير

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩٨ .

على التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمعات النامية بما يخدم مصالح الدول المتقدمة، حيث تبث هذه الرسائل الإعلامية من خلال القنوات الفضائية الأجنبية إلى بلدان العالم النامى بصفة عامة والعربى بصفة خاصة ، وتحمل هذه الرسائل ثقافات غربية وأمريكية تتعارض مع قيم وعادات المجتمعات النامية ، يؤدى هذا إلى التأثير على شعوبها اقتصادياً واجتماعياً وعقائدياً وسياسياً .

"وتمارس البلدان المتقدمة شكل آخر للسيطرة، هو اليوم أكثر حسماً بكثير،ألا وهو شبه احتكار الإعلان في جميع أنحاء العالم الذي تمارسه وكالات الإعلان الكبرى التي تعمل بأسلوب شركات وسائل الإعلام العالمية وتكسب إيراداتها عن طريق خدمة مصالح الشركات الصناعية والتجارية العالمية التي تسيطر بدورها على عالم الأعمال " (١) .

ولكن ليس الغرب وحده هو المتهم بالاستعمار الإعلامى للدول العربية ، بل هناك دول اكثر خطورة هى إسرائيل ومن يساندها باستمرار ويدعم قوتها الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يسيطر اليهود على معظم وسائل الأعلام في معظم دول العالم .

ويقوم الاستعمار الإعلامى على اعتبار أجهزة الإعلام في البلدان الرأسمالية أدوات لها أهميتها في الحصول على الربح والسيطرة على الوعى من أجل المحافظة على الأوضاع القائمة ويرى (هربرت شيلر) في الاستعمار الإعلامى ذلك " الجهد المنظم الذي تنهض به المجتمعات العسكرية في البلدان المصنعة ، وبالأخص

(١) مصطفى المصمودى ، " النظام الإعلامى الجديد " ، مرجع سابق ، ص ٤٤

الولايات المتحدة الأمريكية وصولاً إلى تحقيق التفوق التجاري والسياسى والعسكرى ، والعالم الثالث إذ يعتمد على الحضارة المهيمنة فإن ذلك لا ينتهى به إلا إلى المزيد من (الاعتمادية) واستمرارية التخلف والخضوع لمدى أطول لهيمنة القوى الرأسمالية " [1].

ويمكن الإشارة إلى بعض الآثار الضارة للبث المباشر في الميادين الاقتصادية والاجتماعية أخطرها :

[أ] خلق حاجات زائفة لدى أبناء العالم المتخلف وتغذيتها بحيث تتحول إلى جوع يتغلغل في العضوية وينخر الجهاز العصبى في الإنسان من الداخل فيعطل بذلك توازنه الداخلى ، وذلك من خلال تقديم ثقافة الاستهلاك بأسلوب جذاب له القدرة على خلق ذهنية الاستهلاك التي تقع ضحية الإعلان في متابعة ما يستجد من بضائع .

[ب] خلق تنافس زائف في المجتمع بين الفئات الميسورة أي التنافس على الرفاهية في حين أن يكون لدى الفقراء شعور بالإحباط والضياع [2] ، حيث ترتب على الغزو الثقافي ثورة في التوقعات " زودت الناس بتوقعات وطموحات من الصعب إشباعها مما يؤدى إلى زيادة الإحباط ، وهذا يؤدى إلى البحث عن عالم التوقعات في خارج حدود الوطن من خلال الكلمة أو الصورة ، وتصبح تلك

(١)زكى الجابر ، أثر وسائل الاتصال فى الجماهير وخاصة الجماهير العربية ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،١٩٩٢ م ، ص٥١.

(٢) أنطوان المقديسى ، " التحديث والتعريب فى مواجهة الغزو الثقافى " ، مرجع سابق ، ص٨.

النماذج الخارجية وكأنها عالمه المثالى الذي يحلم به ومع هذا تأتى صورة من صور الأسلاب" [١].

وتختلف الدول فيما بينها في قوة التأثير على المجتمعات النامية ، فمن الملاحظ أن الأقمار ذات المدى الواسع أكثر تأثيراً من الأقمار الأقل مدى ، وهذه الأولى تمتلكها أمريكا ، فحين يذكر " التليفزيون تبرز شبكات التليفزيون الأمريكية كأقوى شبكات للتليفزيون في العالم بأسره ويشتد بنا الأسى حين نرى أن اليهود يسيطرون سيطرة فائقة عليها ليمارسوا من خلالها فرض وجهة النظر الصهيونية على الرأي العام العالمي " [٢] .

ومن هذا المنطلق يظهر البث التليفزيوني المباشر في هذا العصر كغزو "يصعب التصدى له وذلك بسبب اختراقه للحوائط ودخوله غرف نومنا حتى يصل إلى أهدافه . . . وهذا الغزو يسمى بغزو (التكنولوجيا والإلكترونيات) والوقوف منه طريق صعب وشاق لأنه ليس مثل الجيوش إذا أرادت أن تغزو دولة ما فإن تلك الدولة المسلط عليها ذلك الغزو تستطيع أن تواجه العدو ، حسب إمكانياتها وقدراتها القتالية ... ويأتى العكس في البث المباشر الذي مجاله الفضاء ووسائله الأقمار الصناعية [٣] .

---

(١) محى الدين صبحى ،"جدلية الذات والمصير فى جذور امتدادات ندوة الغزو الثقافى الإمبريالى الصهيونى للأمة العربية "،مرجع سابق، ص ص ٥٠-٥١

(٢) زياد أبو غنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، عمان : دار عمان للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م، ص٦٥.

(٣) غازى زين عوض الله ، الإعلام والمجتمع ، مرجع سابق ، ص٩١ .

ويكثر الجدل حول ما إذا كانت كافة الدول تعانى من الغزو الإعلامى ، أم إن هذا الغزو تعانى منه مجتمعات ذات قيم وعقائد وموقع استراتيجى هام ، وتأتى الإجابة أن الدول العربية بعقيدتها ودينها السمح ، وزيادة ثرواتها ، وتوسطها الاستراتيجى ، وحاجة الغرب لها ، ووجود إسرائيل في قلبه هو سبب رئيسى وجوهرى لهذه الحملة الإعلامية الشرسة ضده .

فمن "المؤكد أن الأهمية الاستراتيجية للعالم العربي في النظام الدولى هى التي جعلته محط أنظار الدعاية الدولية وبالتالى الغزو الثقافي الأجنبى ، إذن الهدف سياسى وثقافى في وقت واحد ، لكن الوسيلة ثقافية ، ذلك أن الدول المتقدمة تسعى إلى نشر ثقافتها في الدول النامية بغية تقوية نفوذها السياسى فيها وكثيراً ما يكون النفوذ الثقافي مقدمه للنفوذ السياسى كما أن السيطرة السياسية كثيراً ما تسعى لترسيخ أقدامها عن طريق تقوية السيطرة الثقافية ويأتى البث التليفزيوني المباشر كأفتك سلاح لهذين النوعين من السيطرة"[1].

ولهذا تمتلك الدول المتقدمة أقمار البث التليفزيوني المباشر وتستغلها بهدف فرض سيطرتها الاستعمارية سواء أكانت ثقافية أم إعلامية على الدول النامية ، مستغلة إمكانياتها التكنولوجية والاقتصادية من أجل تحقيق أهدافها في هذه الدول حيث " أصبحت أقمار البث التليفزيوني المباشر منصات تسقط منها ثقافات الدول الأخرى عبر برامج قد يكون بعضها معادياً أو موجهاً مخرباً دون أن

(١) ماجى الحلوانى ، عاطف العبد ، الأنظمة الإذاعية فى الدول العربية ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٩٧م ، ص٢٦٣ .

يستطيع أحد له دفعاً أو إيقافاً ، وأيضاً أصبحت وسيلة دعائية لها أثرها على تدمير الروح المعنوية أو حمل الأخبار الكاذبة أو إشاعة الأفكار الهدامة وقد شهدت المنطقة العربية غزوة شرسة مع برامج فضائية خطط لها بذكاء لهدم كيان الأمة العربية متمثلا في شبابها " [1] .

تعقيب :-

تناول هذا الفصل بالتحليل مفهوم البث التليفزيوني المباشر ونظامه ومصادره ، كما تناولنا بالتحليل الأهداف التي تسعى الدول الغربية وأمريكا وإسرائيل لتحقيقها من خلال استخدامها للبث التليفزيوني المباشر وبخاصة في مجال الغزو الثقافي والتبعية الإعلامية .

ولقد اتضح من التحليل أن الدول العربية ومصر قد تنبأت باستخدام الغرب وأمريكا لبعض المصادر والاستراتيجيات المحققة لأهدافها ، وعلى الرغم من قيامها ببعض الإجراءات التشريعية وامتلاك بعض الأقمار والقنوات الفضائية ، إلا أن التقدم التقنى أدى إلى تحول هذه الإجراءات إلى سراب .

كما اتضح من التحليل أيضاً أن الدول الغربية تسعى جاهدة لتحقيق العديد من الأهداف منها ما يتصل بالغزو الثقافي ، ومنها ما يحقق لها تبعية الدول العربية ، ولقد كشف الفصل عن أن أهداف النوع الأول ترتب عليها ما يلي :-

(١) زرع روح الإحباط وعدم الثقة بالنفس على المستوى الفردى والمحلى .

---

(١) سعد شعبان ، القمر الصناعى المصرى " نايل سات " ، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

(٢) إبهار المشاهد العربي بالثقافة الأجنبية ومحاولة تقليدها في مختلف أمور الحياة اليومية مما يؤدى إلى الانحراف عن الثقافة العربية الأصلية .

(٣) ظهور بعض العادات والسلوكيات الخاطئة وخاصة في الجانب الاستهلاكى مثل أنواع المأكولات والملابس الأجنبية والتي انتشرت داخل المحلات والمطاعم العربية .

(٤) إدمان بعض المشاهدين مشاهدة بعض برامج القنوات الفضائية الوافدة خاصة التي تهتم بالأمور الجنسية والتي تعتمد على إثارة الغرائز لدى شباب المراهقين .

وحيث إن ما اتبعته الدول العربية من إجراءات تشريعية ، وحيث إن تطويرها لقنوات البث المباشر وامتلاك الأقمار الصناعية لم يف بالغرض ، لذا فإنه من الضرورى أن يكون للتربية بوسائطها المختلفة دور في هذا المجال وهذا ما سيتم الكشف عنه من خلال الفصل الثاني.

obeikandl.com